

# القول الرصين فيمن لابس فتنة الجمال وصفين

تأليف الدكتور  
خليد ربيع الحسن الإدريسي

القول الرصين فيمن لابس فتنة الجمال وصفين

تأليف الدكتور خليل ربيع الحسن الإدريسي



2023



يعالج هذا المؤلف القول الرصين فيمن لايس فتنة الجمل وصفين، قضية مهمة في باب العقيدة وهي عدالة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فالمستنون يقولون: كل الصحابة عدول إلا من لايس فتنة الجمل وصفين، والذين لايسوا الفتنة هم: عائشة، طلحة، الزبير، علي، معاوية وعثمان بن عفان الذي وإن توبت عليه الفتنة وقتل في بيته، إلا أن المستنن يدخلونه في الاستثناء باعتباره -في نظرهم- كان بداية شرارة الفتنة، فقمنا بإبراز محاسن هذه النخبة الطاهرة وبينا أن لها الفضل في نصرة الإسلام ونشر سنة النبي العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قمتنا برد الشبه عنهم -رضي الله عنهم وأرضاهم- بالحجة والدليل من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، فبدأنا بشبه الشيعة خاصة الرافضة منهم، ثم أردفناهم بشبه الخوارج محترمين في ذلك، التسلسل الزمني للأحداث، ثم بعد ذلك شبه المستشرقين باعتبارهم أول من حمل مشعل الفتنة بعد الشيعة والخوارج. وبينا أن القول الرصين فيما حصل بين الصحابة من خلاف في الرأي حول الخلافة والبيعة وما جر إليه من أحداث وحروب خلفت دماء مسفوكة، كان بأمور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد مأجور بل معذور، ولهذا أجمع أهل الحق من المسلمين على الإمساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.



9 789623 144367

www.alukah.net  
www.alukah.net  
www.alukah.net

www.alukah.net  
www.alukah.net  
www.alukah.net

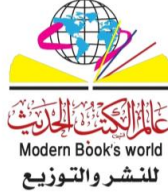


وقف لله تعالى

**القول الرصين**  
فيمن لابس فتنة الجمل وصفين

وقف لله تعالى

جميع حقوق الطبع محفوظة



عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

الأردن - أربد

E-MAIL: almalktob@hotmail.com

almalktob@yahoo.com

phone: +96227272272



@modernworldbook

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022/11/5950)

ISBN(ردمك): (3-434-14-9923-978)

245

الأدرسي، خليل ربيع الحسيني

القول الرصين فيمن لايس فتنة الجمل وصفين/ خليل ربيع الحسيني الأدرسي . -أربد:

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2022

( ) ص.

ر.ل.: 2022/11/5950

الواصفات:/ الصحابة /التابعين//رد /الشبهات//دفع /المطاعن//الخلافة//التاريخ

الإسلامي/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي

دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

وقف لله تعالى

# القول الرصين فيمن لأبسن فتنة الجمل وطفين

تأليف الدكتور  
خليد ربيع الحسني الإدريسي

عالم الكتب الحديث  
Modern Books World  
الأردن-إربد

وقف لله تعالى

## المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، باسم الله الذي اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً وأيد عيسى بروح القدس، وبعث محمداً بشيراً ونذيراً، وسراجاً منيراً.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده، اللهم صل عليه وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الذي تفضح فيه الأسرار، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية ١٠٢. وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ سورة النساء، الآية ١.

أما بعد:

إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأسلم منهج، منهج أهل السنة والجماعة، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن هذا الموضوع الذي سنتطرق له بحول الله تعالى، تظهر أهميته حين الحديث عما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من خلاف في الرأي في الخلافة والبيعة وما جرّ إليه من أحداث وحروب خلفت دماء مسفوكة، وصح أن المسلمين قد اقتتلوا بسيوفهم، ولا يهمننا الانشغال بذكر الأسباب والوقائع، ومن المخطئ ومن المصيب بقدر ما يهمننا تبيان الموقف الصحيح اتجاه هذه الفتن، وما يتعين علينا من قول أو منهج حين يعرض الحديث عن هذا الموضوع ومكانة من دخل في شيء منها من حيث العدالة.

وإن أصح منهج على الإطلاق في هذا الباب، هو منهج أهل السنة والجماعة الذي سندافع عنه - إن شاء الله تعالى - في هذا البحث بكل ما لدينا من أدوات، وسنرد على الأباطيل بالحجة والدليل، وسنؤكد



بتوفيق من رب العالمين أن كل الصحابة عدول معدلين بدليل ما جاء في التنزيل وبيجام علماء المسلمين.

وكما يعرف عن أهل السنة والجماعة، فإنهم يتمسكون بدلالات الكتاب والسنة ويلتزمون بالفهم الصحيح لهما، وهو البعيد عن التأويلات المتعسفة والفهوم المتكلفة والعقلية الجانية عن النصوص الصريحة والأهواء التي تزج بأهلها في حماة التعصب البغيض وتلقن أساليب غريبة في التناول على النصوص ومجازة الحد؛ الذي يضمن السلامة والتسليم، فيطرح السؤال هاهنا:

ما المقصود بأهل السنة والجماعة؟ فيقال بأن السنة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى ومخالفتهم ضلالا، قال سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٠٥﴾ سورة آل عمران، الآية. ١٠٥.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الفاسية والناحية، فإياكم والشعاب،

فعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد<sup>[١]</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة".

وما أحسن قول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- حين قال: ومن كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا فهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، وإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".

فقد أخذنا على عاتقنا في هذا المؤلف مسؤولية الدفاع عن هذه النخبة الطاهرة وتبرئها مما نسب إليها<sup>[٢]</sup>، فبدأنا هذا البحث كما هو

[١] - مسند الإمام أحمد ١٥/٢٣٢-٢٣٣

[٢] - ينظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لمحمد بن أبي العز الحنفي ص:

معتاد في البحوث بمدخل عام تطرقنا فيه إلى حقيقة الفتنة لغة واصطلاحاً، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وتصوره لا يتأتى إلا بتعريفه، وبيننا بأن الفتنة المقصودة بالدراسة في هذا البحث هي القتال والحروب التي وقعت بين الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الحديث عن الفتنة من منظور تاريخي، فبيننا أن الفتنة كانت منذ تحمل آدم المسؤولية وأنها ستستمر إلى قيام الساعة، وبذلك فإن الصحابة الذين لابسوا الفتنة لم يبتدعوا بدعة ولم يستنوا سنة سيئة، بل كان ذلك اجتهاداً مأجوراً، والمخطئ فيه معذور. فاعتمدنا في هذا المدخل على كتب السلف الصالح كالبداية والنهاية للحافظ ابن كثير الذي خصص المجلد الأخير كله لباب الفتنة، وقصص الأنبياء له أيضاً، أما في اللغة فقد اعتمدنا على المفردات للأصفهاني، ولسان العرب لابن منظور ثم بعد ذلك انتقلنا للحديث عن الخلافة، فخصصنا لها فصلاً كاملاً يتكون من ثلاثة مباحث، المبحث الأول كالمعتاد حددنا فيه المصطلح، وأبرزنا شروط من يجب أن يكون خليفة ثم في المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الآيات التي ورد فيها مصطلح الخلافة واستنتجنا من ذلك أن هناك خلافة عامة وخلافة خاصة.

وبعد ذلك انتقلنا في المبحث الثالث إلى الحديث عن الخلافة في السنة، وأبرزنا الأحاديث التي كان فيها الرسول صلى الله عليه وسلم يلح فيها لمن يكون خليفة بعده، وهو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وكيف كان عليه الصلاة والسلام يقسم المهام بين الصحابة . رضي الله عنهم .، ومن هم الذين كانوا أقرب إليه، وقد يطرح السؤال، لماذا خصصنا فصلا كاملا للحديث عن الخلافة، في حين أن موضوعنا هو الفتنة؟

فيجاب عن هذا السؤال بأن هذه الفتنة كان منشؤها هو الخلاف حول الخلافة، فوجدنا أنه من الأليق أن نعرّف بموطن الخلاف الذي هو الخلافة، وبشروط الخليفة، وهل يمكن الخروج عليه أم لا يمكن، وبذلك نكون قد أعطينا تصورا أوليا عن منشأ الخلاف.

فاعتمدنا في ذلك على الكتب التي تحدثت عن الخلافة وشروطها، كالأحكام السلطانية للماوردي والمتقى المأثور لابن القاضي، ومقدمة ابن خلدون، ونحو ذلك.... واستعنا في تفسير الآيات بصفوة التفاسير للصابوني باعتباره جامعاً لتفاسير السلف الصالح بالإضافة، إلى كتاب حياة الصحابة للهلوي والذي جمع فيه أحاديث كثيرة عن الصحابة الكرام....

وبعد ذلك بدأنا ندخل تدريجياً في صلب الموضوع، فتعرضنا في الفصل الثاني، والذي قسمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث، فقمنا في المبحث الأول بوصف الأوضاع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومبايعة أبي بكر - رضي الله عنه - ثم عمر الفاروق - رضي الله عنه - وذكر الأسباب التي جعلت الأوضاع تبقى مستقرة في عهد هذين الخليفين، ثم بعد ذلك انتقلنا في المبحث الثاني إلى دراسة الأوضاع ووصف الانقلابات التي حدثت بعدما كانت الأوضاع مستقرة من قبل، وذكر الأسباب التي أدت إلى ذلك.

ففي هذين المبحثين اللذان كانا عبارة عن سرد لحقائق تاريخية، اعتمدنا على كتب التاريخ المعتمدة كالبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وتاريخ الخلفاء للسيوطي إلخ... ثم بعد هذا السرد التاريخي تطرقنا في المبحث الثالث إلى مسألة خاصة بالعقيدة، وهي عدالة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأثبتنا عدالتهم كلهم بدون استثناء من الكتاب والسنة وأقوال علماء هذه الأمة، فاعتمدنا - بطبيعة الحال - على كتب السلف الصالح في العقيدة كشرح الطحاوية على العقيدة السلفية لأبي العز الحنفي ومنهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والعواصم من القواصم لابن العربي المالكي،

والإبانة لأبي الحسن الأشعري، وغير ذلك.

أما الفصل الثالث من هذا المؤلف فقد تضمن ثلاث مباحث، تناولنا في المبحث الأول منه التعريف بالصحابة الذين لابسوا الفتنة وهم: عائشة وطلحة والزبير وعلي ومعاوية وعثمان بن عفان الذي وإن لوبست عليه الفتنة، وقتل في بيته، إلا أن المستثنين يدخلونه - رضي الله عنه - في الاستثناء فيقولون: كل الصحابة عدول إلا من لابس الفتنة، والذين لابسوا الفتنة هم: عائشة، طلحة، الزبير، علي، معاوية وعثمان بن عفان - رضي الله عنهم أجمعين ، فقمنا بإبراز محاسن هذه النخبة الطاهرة وبيننا أن لها الفضل في نصره الإسلام ومواجهة الكفار، وحماية المصطفى عليه الصلاة والسلام من الأخطار، فإن حسناتهم لا تعد ولا تحصى، ولو قورنت بحسنات المتقولين في عدالتهم لوجدت حسنات أحد هؤلاء الصحابة في اليوم الواحد تفوق حسنات المتقول طيلة حياته والعكس صحيح، ولو وجدت سيئات المتقول في اليوم الواحد قد لا يقوم بها أحد هؤلاء الصحابة طيلة حياته، فالشاهد أن هذه النخبة الطاهرة لا ينبغي لنا أن نذكرها إلا بخير.

وقد اعتمدنا في التعريف بهذه الصفوة المباركة من الصحبة على

كتب التراجم كالإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير وسير أعلام النبلاء للذهبي.

ثم بعد بيان محاسن الصحابة الذين لابسوا الفتنة، انتقلنا في المبحث الثاني إلى إثبات حقيقة تاريخية مؤلمة، وهي أن الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - قد التقوا بسيفهم وكان ذلك في وقعتين مشهورتين وهما معركة الجمل وكانت بين عائشة وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - من جهة وعلي - رضي الله عنه - من جهة أخرى، ومعركة صفين التي كانت بين علي - رضي الله عنه - ومعاوية - رضي الله عنه، وذكرنا أسباب هذه الفتنة وما آلت إليه معتمدين في ذلك على الكتب الموثوق بها كالبداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الطبري، وتاريخ اليعقوبي وتاريخ الخلفاء للسيوطي...، حتى يكون الأمر واضحاً للعيان، وحتى لا تختلط الحقيقة بالخيال فنكون قد غطينا شمس الحق بالغربال.

وفي المبحث الثالث، تم التطرق إلى قضية الاجتهاد وموقف الشرع منها، وقد يقول قائل: وما دخل الاجتهاد في هذا الباب؟

فيجاب عن هذا السؤال بأن ما وقع بين الصحابة - رضي الله

عنهم أجمعين - من فتن وأدى إلى حدوث معركتين: الجمل وصفين، كان ناتجا عن أمور اجتهادية، فكل واحد كان يرى بأن الحق معه، فبيننا بأن الإنسان المجتهد المصيب له أجران، والمخطئ معذور بل مأجور، وأن اجتهاد هؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - لا يخرجهم من الملة ولا يمس أحدا منهم في عقيدته.

واعتمدنا في هذا المبحث على الكتب التي تتحدث عن الاجتهاد وشروطه، وموقف الإسلام من هذه الاجتهادات، كإرشاد الفحول للشوكاني، وأصول الفقه لمحمد أبو زهرة، وأصول الفقه لعبد الوهاب خلاف...

وفي الفصل الرابع، تحملنا مسؤولية الدفاع عن هذه الصفوة المباركة وذلك برد الشبه عنهم - رضي الله عنهم وأرضاهم. بالدليل من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، فبدأنا بشبه الشيعة خاصة الرافضة منهم، ثم أردفناهم بشبه الخوارج محترمين في ذلك، التسلسل الزمني للأحداث، ثم بعد ذلك شبه المستشرقين باعتبارهم أول من حمل مشعل الفتنة بعد الشيعة والخوارج.

وقد يتساءل البعض عن سر إدراج شبهة طه حسين ضمن شبه المستشرقين؟ فنقول بأن طه حسين قد درس بالغرب ولا يستبعد أن



يكون قد تم تطعيمه ببعض أفكار المستشرقين وتأثر بها، ومن ذلك قوله أن عائشة - رضي الله عنها - كانت حاقدة على علي . رضي الله عنه . منذ حادثة الإفك، وهذا القول مشهور عن المستشرقين، وقد اعتمدنا في إبطال هذه الأباطيل وإظهار الحق على كتب السلف الصالح في العقيدة كمنهاج السنة النبوية لابن تيممة وشرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي، والعواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المالكي، ومختصر التحفة الإثني عشرية للألوسي...

وفي الخاتمة، خرجنا بخلاصة وهي أن كل الصحابة عدول، وأن ما قيل فيهم أو لفق إليهم من كلام مزعوم لا أساس له من الصحة، وأن قائله كانت له أغراض واضحة أراد تحقيقها من خلال المس بعدالة أصحاب النبي الأمين، وبالتالي التشكيك في نقلة هذا الدين، وهم الرعيل الأول من المسلمين وإنهم عدول معدلين رضي الله عنهم أجمعين..

والله نسأل أن نكون قد وفقنا في دفاعنا هذا عن صحابة نبي الهدى صلى الله عليه وسلم وبيان القول الرصين فيمن لا يس منهم فتنة الجمل وصفين، وإننا ما ابتغينا من مؤلفنا هذا إلا وجه الله تعالى، ونتمنى أن

يكون عملنا هذا عملا مقبولا، وأن ينفعنا يوم لا ينفع مال ولا بنون؛  
إلا من أتى الله بقلب سليم. آمين والحمد لله رب العالمين.

المدخل العام:

# الكلام عن الفتنة

وقف لله تعالى

16

— القول الرصين فيمن لابس سنة الجمال و صفيين —

## المطلب الأول: تعريف الفتنة لغة واصطلاحاً

الفتنة في اللغة أصلها من فتن يفتن ويقال فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتها بالنار لتمييز الرديء من الجيد<sup>[١]</sup>، واستعمل في إدخال الإنسان النار<sup>[٢]</sup>، قال تعالى في سورة الذاريات، الآية ١٤: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُعْتَنُونَ ﴿١٤﴾ ذُوفُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي عذابكم، وكذلك نحو قوله تعالى في سورة النساء الآية ٥٦: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وقوله تعالى في سورة غافر الآية ٤٦: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾.

وأما في الاصطلاح فالفتنة تأتي بمعان مختلفة منها<sup>[٣]</sup>:

١. الفتنة الإضلال كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِعِتْنِينَ﴾ سورة الصافات الآية ١٦٢، أي ما أنتم بمضلين إلا من أضله الله أي لستم تضلون إلا أهل النار الذين سبق علم الله في ضلالهم.

[١] - لسان العرب لابن منظور، مادة: فتن، ص: ٣١٧

[٢] - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص: ٣٧١

[٣] - لسان العرب لابن منظور، مادة: فتن، ص: ٣١٩

٢. الفتنة الكفر: كما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة، الآية ١٩١: ﴿وَالْمِثْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

٣. الفتنة الفضيحة كما جاء في قوله عز وجل في سورة المائدة، الآية ٤١: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾، قيل معناه فضيحته.

٤. الفتنة الاختبار والابتلاء، وفتنه يفتنه: اختبره، قال تعالى في سورة التوبة، الآية ١٦٢: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: معناه يختبرون بالدعاء إلى الجهاد؛ وقيل يفتنون بإنزال العذاب والمكروه؛ وهذا هو معنى الابتلاء.

٥. الفتنة العذاب، وتارة يسمونه ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه نحو قوله تعالى في سورة التوبة الآية ٣٩: ﴿أَلَا فِي الْمِثْنَةِ سَفَطًا﴾.

٦. الفتنة القتل: ومنه قوله تعالى في سورة النساء، الآية ١٠١: ﴿إِنْ خِفْتُمْ وَأَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ وكذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾؛ الآية ٨٣ أي يقتلهم.

### المطلب الثاني: لمحة تاريخية عن الفتن

الفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية

والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بصد ذلك، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان وزمان، نحو قوله تعالى في سورة البقرة، الآية ١٩١ ﴿وَالْمِثْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

وإن أول فتنة وقعت على سطح الأرض هي فتنة قابيل وهابيل كما جاء ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠١﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾ بَطَّوْعَتْ لَهُ وَنَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَفَتَلَهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿١٠٤﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتْنِي فَأَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ سورة المائدة، الآيات ٢٧-٣١، وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل"<sup>[١]</sup>.

[١] - صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته الحديث

وملخص هذه القصة كما ذكره أهل السلف في ذلك، أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأثني الأخرى وأن هايل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هايل وأخت هايل أحسن فأراد هايل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السماوات علي بنيه فأبين والأراضين والجبال فأبين فتقل قابيل بحفظ ذلك. فلما ذهب قربا قربانها فقرب هايل جذعة سمينة وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هايل وتركت قربان قابيل فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين، فغضب قابيل عندها وضر به بحديدة كانت معه فقتله<sup>[١]</sup>.

وبذلك، يكون قابيل أول من سعى في الأرض فسادا وتكون ملائكة الرحمن قد أصابوا في تعجبهم واستعلاهم<sup>[٢]</sup>. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

[١] - قصص الأنبياء من القرآن والأثر لابن كثير الدمشقي، ص: ٥٣

[٢] - صفوة التفاسير للصابوني، ٤٨/١



قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾. سورة البقرة الآية ٣٠.

وبعد ذلك، توالت الفتن مع تعاقب الزمان وتوالي الأيام، ومن ذلك افتتان بني إسرائيل بالعجل، حيث يذكر الله تعالى في سورة طه ما كان من أمرهم حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه، فمكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة، وهو تعالى يجيبه عنها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٨١﴾ قَالَ هُمْ ذُرِّيَّتِي عَلَىٰ أَثَرٍ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَإِنَّا فَعَدْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٣﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيبًا قَالَ يَفُومَ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴿٨٤﴾ أَبْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَبْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٥﴾ قَالُوا مَا أَخْلَبْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَا بِكَذَلِكَ الْفَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهَ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٦﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴿٨٧﴾ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلِ يَفُومَ إِنَّمَا بُنِيتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِمِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٠﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَبَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ

بِلِحْيَتَيْهِ وَلَا بِرَأْسَيْهِ إِنَّهُ حَشِيثٌ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ بِقَوْلِهِ ﴿٩٧﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَعِيرٌ ﴿٩٨﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٩﴾ \* قَالَ بَادَهُبٌ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٠٠﴾ لَأَمَّا إِلْهِكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠١﴾ سورة طه، الآيات

. ٩٨-٨٣

ومن ذلك أيضا، الفتنة التي وقعت في عهد فرعون، حينما أمر أتباعه بقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل خوفا من أن يكون نبيا منهم، قال تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ سورة طه، الآية ٤٠ .

وعن سعيد بن جبير قال: سألت عبد الله بن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ فسأله عن الفتون ما هو، فقال: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثا طويلا، فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون، فقال: "تذكرون فرعون وجلساؤه لما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء

وملوكا، فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك قالوا ليس هكذا، وكان وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ فأتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك، فلما رأوا الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم، والصغار يذبحون، قالوا: توشكون أن تفتنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة الذين كانوا يكفونكم،

فاقتلوا عاما كل مولود ذكر، فتقل بناتهم، ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم، فتخافوا مكائرتهم إياكم، ولن تفتنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم، فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان فولدته علانية آمنة، فلما أقبل العام الموالي، حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه في بطن أمه مما يراده، فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين، فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت وتلقيه في اليم، فلما

ولدت فعلت ذلك، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثانه فانتهى الماء به حتى أوفى عند فرصة تستقي منها جوارى امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت، فقال بعضهن إن في هذا مالا، وأنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يخرج منه شيئا، حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلاما، فألقى عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط، وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليزبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جبير... [١].

ومع مجيء الإسلام اطمأنت القلوب وهدأت النفوس وقلت الفتن وأصبح الناس يعيشون في طمأنينة وسلام، حيث آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وكان عليه السلام يفضل السلم على القتال كما أمره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ سورة الأنفال، الآية ٦١.

[١] - ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص: ٣٠٤

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقع الخلاف وكثرت الفتن، وقد تنبأ الرسول عليه الصلاة والسلام بوقوعها، كما جاء في أحاديث كثيرة: فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الهاشي، والهاشي فيها خير<sup>[١]</sup> من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذبه" وقال صلى الله عليه وسلم "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"<sup>[٢]</sup>.

ولعل أعظم فتنة سيبتلى بها الإنسان، هي فتنة قيام الساعة، وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم عدة علامات لذلك منها: ما رواه الزهري، عن سالم، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام إلى جانب المنبر فقال: "الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وقال قرن الشمس"<sup>[٣]</sup>.

[١] - صحيح البخاري في كتاب الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم

[٢] - صحيح البخاري في كتاب الفتن، باب: قول النبي عليه الصلاة والسلام لا

ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض

[٣] - صحيح البخاري في كتاب الفتن، باب: قول النبي عليه السلام الفتنة من قبل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا اتخذ الفيء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى إياه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع" [١].

ونستعيد بالله من هذا اليوم الذي قال فيه تعالى في سورة الحج، الآية ٢: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

وندعو بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وأن تغفر لنا وترحمنا وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك" [٢].

[١] - سنن الترمذي، ٣/ ٣٣٥

[٢] - سنن الترمذي، ٣/ ٣٣٦

## الفصل الأول:

# مفهوم الخلافة

وقف لله تعالى

28

— القول الرصين فيمن لابس سنة الجمال وصفين



## المبحث الأول: تعريف الخلافة وشروطها

لقد أجمع علماء المسلمين على ضرورة الخلافة "الإمامة"، وأنه لا بد من خليفة يقيم الجمع وينظم الجماعات، وينفذ الحدود، ويجمع الزكوات من الأغنياء ليردها على الفقراء، ويحمي الثغور، ويفصل بين الناس في الخصومات بالقضاة الذين يعينهم، ويوحد الكلمة، وينفذ أحكام الشرع ويلم الشعث ويجمع المتفرق، ويقيم المدينة الفاضلة التي حث الإسلام على إقامتها.

على هذا أجمع المسلمون، وعلى هذا استقام أمر الدين في صدر تاريخه؛ فما هي إذن حقيقة الخلافة لغة وشرعا؟ وما هي شروطها؟ وهل هي واجبة عقلا أم نقلا؟

### المطلب الأول: تعريف الخلافة لغة واصطلاحا

الخلافة في اللغة هي: "الإمارة وهي الخليفة، وإنه خليفة بين الخلافة والخليفة، وفي حديث عمر رضي الله عنه لولا الخليفة لأذنت"<sup>[١]</sup>.

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت تعريفات العلماء لها، ومن ذلك

[١] - لسان العرب لابن منظور، مادة: خلف، ص: ٨٣-٨٤

ما جاء في مقدمة ابن خلدون: "الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة؛ فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" [١].

وعرفها الماوردي بقوله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم" [٢].

ويستفاد من النصين اتفاق المفكرين الإسلاميين حول غاية الخلافة التي هي سياسة الناس على مقتضى الشرع دينا ودينا؛ وأن على الأمة تفويض الأمور العامة إلى الخليفة من غير معارضة له ليقوم بما وكل إليه من وجوه المصالح وتدبير الأعمال، ويسمى خليفة لأنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته فيجوز أن يقال يا خليفة رسول الله، وعلى الإطلاق فيقال الخليفة. واختلفوا، هل يجوز أن يقال يا خليفة الله؟ فجوزه بعضهم لقيامه بحقوقه في خلقه ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ

[١] - مقدمة ابن خلدون، ص: ١٩١

[٢] - الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، ص: ٥

أَلذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَبَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴿١٦٥﴾  
سورة الأنعام، الآية ١٦٥؛ وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك ونسبوا  
قائله إلى الفجور، وقالوا يستخلف من يغيب أو يموت والله لا يغيب  
ولا يموت، وقد قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا خليفة الله؛  
فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### المطلب الثاني: شروط الخلافة

لقد اتفق الجمهور على أربعة شروط في الإمام لكي تكون إمامته  
خلافة نبوية ولا تكون ملكا عضوا، وهذه الشروط هي: القرشية  
والبيعة، والشوري والعدالة:

#### أولا: القرشية

وهي أن يكون الإمام قرشيا، وذلك للآثار الكبيرة الواردة في  
فضل قریش المشيرة إلى أن تكون فيهم، ومن هذه الآثار قول النبي  
صلى الله عليه وسلم فيما روي في الصحيحين "الناس تبع لقریش في  
هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم".

#### ثانيا: البيعة

إن الشرط الثاني الذي يشترطه الجمهور لاختيار الخليفة هو

المبايعة من أولي الحل والعقد، أي أن أولي الحل والعقد والجنود وجماهير المسلمين يعطون الخليفة عهدا على السمع والطاعة في المنشط والمكره، ما لم تكن معصية، ويعطيهم العهد على أن يقيم الحدود والفرائض، ويسير على سنة العدل وعلى مقتضى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا المنهج كان الصحابة، وقد أخذوه عن النبي عليه الصلاة والسلام، فقد بايعوه عليه السلام تحت الشجرة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لِأَنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

سورة الفتح، الآية ١٠.

### ثالثا: الشورى

هي أن يكون الاختيار بشورى المسلمين، والأصل في ذلك هو أن الحكم الإسلامي في أصل وضعه شوري؛ لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الشورى الآية ٣٨؛ ولقوله تعالى أمرا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ سورة آل عمران، الآية ١٥٩، ولا التزام النبي صلى الله عليه وسلم بالشورى في عامة أموره التي كانت تهم المسلمين ولم ينزل فيها وحى، فكان في الحروب وفي أعقابها وفي

شؤون الحكم يستشير المسلمين في غير موضع النص وكذلك فعل أصحابه من بعده عندما كان الأمر إلى الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وإذا كان الحكم الإسلامي في أصله شورياً فلا بد أن يكون الاختبار شورياً أيضاً، لأنه لا يمكن أن يكون الحكم شورياً ويكون الخليفة مفروضاً. قال عمر بن الخطاب "من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو والذي بايعه نكرة أن يقتل"<sup>[١]</sup>.

### رابعاً: العدالة

وهي جوهر الخلافة ولبها، والعدالة التي تطلب من الإمام لتشمل أنواع العدالة المختلفة؛ بحيث يكون عدلاً ولا يؤثر ذا محبة ولا يبعد ذا بغض، ولقد قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ بَغِيًّا بِاللَّهِ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٤﴾ سورة النساء الآية ١٣٤.

وقال صلى الله عليه وسلم "ما من أحد أقرب من الله مجلساً يوم

[١] - تاريخ الخلفاء للسيوطي؛ ص: ٧٩

القيامة، بعد ملك مصطفى، أو نبي مرسل، إمام عادل، ولا أبعد من الله من إمام جائر<sup>[١]</sup>، ولقد طلب عمر بن عبد العزيز من الحسن البصري أن يصف له الإمام العادل فكتب إليه: "اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العدل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع ويكنها من أذى الحر والقر، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً...<sup>[٢]</sup>.

والعدالة الإسلامية تشمل العدالة القانونية التي يطبق فيها الحكم الإسلامي على الجميع، حتى أن الفقهاء أجمعين قرروا أن الإمام نفسه لو ارتكب جنائية اقتص منه، وإن ارتكب حداً قرر جمهور العلماء وجوب إقامة الحد عليه، واتفقوا على أن الولاة الذين يكونون دون الخليفة إذا ارتكبوا جريمة فيها حداً أو قصاصاً يقتص منهم ويقام الحد عليهم

[١] - سنن الترمذي ٢/٢٧٧

[٢] - تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد لأبي زهرة، ص: ٩١-٩٢

وهذا الأمر مجمع عليه" [١].

وعلى الأمة بعد مبايعة الإمام السمع والطاعة ولزوم الجماعة حيث يقول إمام الحرمين الجويني: "من اجتمعت له الشروط المذكورة وانعقدت له الإمامة فقد لزم طاعته ولا يجوز خلعه من غير حدث، وبغير أمر" [٢]، وهذا مجمع عليه وذهب الماوردي إلى أن أمران يخرجان من الإمامة وهما: جرح في العدالة ونقص في البدن حيث يقول في هذا الصدد: "وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب له عليهم حقان الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله والذي يتغير به حاله فيخرج عن الإمامة شيان أحدهما جرح في عدالته والثاني نقص في بدنه" [٣] ومع عقد الخلافة لشخصين، لقول النبي صلى الله عليه وسلم " إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" [٤].

[١] - المصدر نفسه، ص: ٩٠-٩١

[٢] - المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور لأحمد بن القاضي، ص: ٢٦٣-

[٣] - الأحكام السلطانية للماوردي، ص: ١٧

[٤] - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: إذا بويع الخليفتين ٦/٢٣

### المطلب الثالث: وجوب الخلافة

لقد اختلف العلماء في وجوب الخلافة: هل هي واجبة نقلاً أم عقلاً؟ حيث يقول الأمدي في الأبيكار: "الإمامة من الفرعيات، واختلف فيها هل هي واجبة عقلاً أم نقلاً؟"، وذهب بعض المعتزلة إلى أنها واجبة على الله تعالى، وتعالى الله أن يجب عليه شيء، لأنه هو الموجب، الأمر، الناهي، فلا أمر ولا نهي يتوجه إليه من سواه تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ الآية ٢٣ من سورة الأنبياء، والقول بأنها واجبة عقلاً نسب للمعتزلة أيضاً.

وذهب الشيعة إلى أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم فيها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفالها وتفويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً عن الكبائر والصغائر؛ في حين أن الخوارج لا يرون ضرورة للإمام أصلاً، فالأصم يقول: "لو تكاف الناس عن النظام لاستغنوا عن الإمام" [١].

وأما مستند أهل السنة؛ فهو إجماع المسلمين على نصب أبي بكر

[١] - السياسة في الفكر الإسلامي، أحمد شلبي، ص: ١١١



الصديق رضي الله عنه خليفة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، والإجماع حجة، لأنه لا تجتمع أمته عليه الصلاة والسلام على ضلالة، ولأنه معصوم مشهود له بالعصمة، إقامة الخلافة بين الناس واجبة على أهل الحل والعقد من المسلمين، واتفق أهل السنة والمعتزلة على أن الخلافة سبب حصولها عقد البيعة، واختلفوا في اشتراط العدد في أهل الحل والعقد، وهل تعقد بواحد أم لا؟ فانتقلت من سلف إلى خلف" [١].

## المبحث الثاني: الخلافة في الكتاب والسنة

### المطلب الأول: الخلافة في القرآن الكريم

لقد جاءت الخلافة في القرآن الكريم بمعان مختلفة: يقال خلف فلان فلانا قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ سورة الزخرف، الآية ٦٠. والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف؛ وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ

[١] - المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور أحمد بن القاضي، ص: ٢٦٤ - ٢٦٥

خَلِّيفَ الْأَرْضِ﴾ سورة الأنعام الآية ١٦٥، وقال أيضا سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ سورة هود الآية ٥٧، والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ سورة ص الآية ٢٦، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ سورة الأعراف الآية ٦٩ [١].

ومن هنا يتبين لنا أن الخلافة؛ إما خلافة عامة وهي استخلاف الإنسان في الأرض، وإما خلافة خاصة وهي الإمامة؛ وقد اختلف في وجوبها هل وجبت بالعقل أم بالشرع؟ فقالت طائفة وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم لمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين، وهمجا مضاعين.

وقالت طائفة أخرى: بل وجبت بالشرع دون العقل، لأن الإمام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزا في العقل أن لا يرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا لها، وإنما أوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه

[١] — المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص: ٣٧١

من العقلاء عن النظام والتقاطع، ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل، فيتدبر بعقله غيره، ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليه في الدين، قال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ سورة النساء، الآية ٥٩ .

ففرض علينا سبحانه وتعالى طاعة أولي الأمر فينا وهم الأئمة المتأمرين علينا، وروى هشام بن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره ويليكم الفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم". وقيل أن "أولي الأمر" هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد: طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إن "أولي الأمر" هم: أهل القرآن والفقهاء، الذين يأمرون بالحق ويفتنون به وهم يعلمون.

وقد دل كتاب الله عز وجل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الله عز وجل: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

الصِّلِحَتِ لَيْسَتْخَلِبَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴿ سورة النور، الآية ٥٥ .  
وقال سبحانه أيضا: ﴿إِنْ مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا  
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ سورة الحج الآية  
٤١ .

فلما وجدت هذه الصفة في الاستخلاف والتمكين في أمر أبي  
بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، دل على أن  
خلافتهم حق، ودل أيضا على إمامة الصديق رضي الله عنه قول الله عز  
وجل في سورة براءة للقاعدين عن نصره نبيه صلى الله عليه وسلم  
والمتخلفين عن الخروج معه في غزوة الحديبية ﴿بَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ  
أَبَدًا وَلَنْ تُفْتَلِحُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ سورة التوبة، الآية ٨٣، وقال تعالى في  
سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا  
ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ سورة الفتح الآية  
١٥، يعني قوله ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ "لن تخرجوا معي أبدا" ثم  
قال: ﴿كَذَلِكَمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ بَسْ يَفُوتُونَ بَلْ تَحْسُدُونََنَا بَلْ  
كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة الفتح الآية ١٥ .

وقال تعالى أيضا: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَيَّ

قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُوتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ سورة الفتح الآية ١٦ .

ودل أيضا على إمامة الصديق، قول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِّن يَّرْتَدِدُ مِنْكُم عَن دِينِهِۦٓ بَسُوۡفَ يَأْتِيۡهُمُ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمُ وَيُجِبُّونَهُۥٓ﴾ سورة المائدة، الآية ٥٤ .

فكان في علم الله سبحانه وتعالى، ما يكون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتداد قوم فوعده رسوله، ووعدده صدق، أنه "يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم".

فلما وجد ما كان في علمه، في ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومة لائم، حتى ظهر الحق، وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

## المطلب الثاني: الخلافة في السنة

وقد ذكرت الخلافة بمفهومها الاصطلاحي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها ما روي عن شريح بن النعمان، قال: حدثنا حشرج بن نباتة، عن سعيد بن جهمان، قال حدثني سفينة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم قال أمسك خلافة علي بن أبي طالب، قال فوجدتها ثلاثين سنة"<sup>[١]</sup> فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم. ومنها أيضا ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمان بن أبي بكر عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما "أيكم رأى رؤيا فقلت أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت أنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر بعثمان ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلافة، نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء"<sup>[٢]</sup>.

[١] - سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء في الخلافة

[٢] - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية، ٢٠٨/١

ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم نص قاطع أو إشارة واضحة إلى من يكون خليفة من بعده، وكل ما ورد في ذلك أنه عليه السلام كان يكلف بعض الصحابة بالقيام ببعض الأعمال فاتخذها البعض حجة على خلافتهم، ومن ذلك ما روي عن أبي موسى الأشعري قال: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق، متى يقوم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس قال: فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكم صواحيبات يوسف. قال: فصلى أبو بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١].

وروي "أن امرأة أنت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه، قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تقول الموت قال عليه السلام إن لم تجدني فآتي أبا بكر" [٢].

وروي أيضا "أن عليا قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد، فقال أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه

[١] - صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة

[٢] - صحيح البخاري، كتاب فضائل النبي، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم فخرج علي فلحق بالنبى عليه السلام فلما كان مساء الليلة التي فتحتها الله في صباحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله، أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتح الله عليه" [١].

وروى سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عليا في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي. وفي رواية "معى" فإنه لا يعني به استخلافه بعد وفاته، وإنما يعني به استخلافه على المدينة عند خروجه إلى غزوة تبوك، كما استخلف موسى هارون عند خروجه إلى الطور وكيف يكون المراد به الخلافة بعد موته، وقد مات هارون قبل موسى" [٢].

من المعلوم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا على درجة واحدة من الصحبة والقرب إليه عليه السلام، ويتضح

[١] - صحيح البخاري، كتاب فضائل النبي، باب: مناقب علي

[٢] - ذكره البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص: ٣٥٦-٣٥٧



ذلك من خلال طريقة اختياره لأصحابه عليه الصلاة والسلام والثناء عليهم، ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب ما يلي:

روي عن علي - رضي الله عنه . أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رحم الله أبا بكر! زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالا. رحم الله عمرا! يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق. رحم الله عليا! اللهم أدر الحق معه حيث دار "[1].

وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال: هكذا نبعث يوم القيامة "[2].

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض؛ فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر "[3].

[1] - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٥٢

[2] - المصدر نفسه، ص: ٥٠

[3] - المصدر نفسه، ص: ٥٠

وروي عن علي قال: قيل يا رسول الله، من يؤمر بعدك؟ قال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً، لا يخاف في الله لومة لائم. وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً، يأخذ بكم الصراط المستقيم" [١].

وروي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم" [٢].

فهذه الأحاديث وما في معناها، تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن يكون الخليفة من بعده أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فنبه أمته بما ذكر من فضيلته وسابقته وحسن أثره، ثم بما أمرهم به من الصلاة خلفه، ثم بالافتداء به وبعمربن الخطاب - رضي الله عنهما - على ذلك، وإنما لم ينص عليه نصاً يحتمل غيره - والله أعلم! - لأنه علم بإعلام الله إياه، أن المسلمين يجتمعون عليه، وإن خلافتهم تنعقد

[١] - مسند الإمام أحمد، ١/١٠٨-١٠٩

[٢] - صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب: فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم

بإجماعهم على بيعته.

وأما حديث الموالاتة الذي احتجت به الشيعة على استحقاق علي للخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فليس فيه إن صح إسناده نص على ولاية علي بعده. لأن النبي عليه السلام كان يقصد من ذلك أنه لما بعث علي إلى اليمن، كثرت الشكاة عنه، وأظهروا بغضه، فأراد النبي عليه السلام أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته فقال صلى الله عليه وسلم: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"<sup>[١]</sup>. والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً، ولا يعادي بعضهم بعضاً.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف علياً في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي" وفي رواية "معي" فإنه لا يعني به استخلافه بعد وفاته، وإنما يعني به استخلافه على المدينة عند خروجه إلى الطور.

[١] - سنن الترمذي كتاب المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وكيف يكون المراد به الخلافة بعد موته، وقد مات هارون قبل موسى [١].

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن الخلافة كانت في نظر الراشدين "عبئاً" يتولى الواحد منهم حمله بتكليف من المسلمين أداء الواجب، ولم تكن عند أحد منهم "متاعاً" ولا "مأكلة" حتى ينازع غيره عليها، فمثلاً لما تأمرت المجوسية واليهودية على سفك دم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأبقى الله من حياته بقية يدبر فيها للمسلمين أمرهم بعده، جعل الأمر شورى، واقترح عليه بعض الصحابة أن يريح المسلمين من ذلك فيعهد إلى ابنه - عبد الله بن عمر - ولم يكن عبد الله بن عمر دون أبيه في علم أو حزم أو بعد نظر، أو إخلاص لله ورسوله والمؤمنين، رفض عمر ذلك وقال: "بحسب آل الخطاب أن يليها واحد منهم. فإن كان خيراً فقد أصبنا منه وإن كان رزءاً فقد قمنا بنصيبنا فيه".

[١] - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص: ٣٦٦-٣٦٧.

## الفصل الثاني:

# الخلفاء الراشدون

وقف لله تعالى

50

— القول الرصين فيمن لابس سنة الجمال و صفيين

## المبحث الأول:

### الخلفاء الذين استقرت الخلافة في عهدهم وأسباب ذلك

روي الشيخان في صحيحهما أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، اجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقال له عمر بن الخطاب: "يا أبا بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقوا يؤمنونهم حتى لقيهم رجلا ن صالحان فذكر لهم الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قال عمر - رضي الله عنه -: نريد إخواننا من الأنصار، فقالا: عليكم ألا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "والله لنأتينهم" فانطلق المهاجرون حتى جاءوهم في سقيفة بني ساعدة<sup>[1]</sup>، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقال عمر - رضي الله عنه - من هذا؟ قالوا سعد بن عبادة، فقال عمر - رضي الله عنه -: ماله؟ قالوا: وجع، فلما جلس المهاجرون قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال، أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر

[1] - كانت تلك السقيفة مجاورة لسوق المدينة، وهي عبارة عن ظلة كبيرة مبسطة الجوانب، وتقع في أرض بني ساعدة بن كعب من الخزرج وكانت من الأمكنة التي اعتاد أهل المدينة الاجتماع إليها والتشاور في شؤونهم الخاصة والعامة.

المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم تريدون أن تحتزلوها من أصلنا وتحضنونا من الأمر، فلما سكت، أراد عمر - رضي الله عنه - أن يتكلم وكان قد زور مقالة أعجبهه أراد أن يقولها بين يدي أبي بكر - رضي الله عنه - وقد كان يداري منه بعض الحد، وهو كان أحلم منه وأوقر، فقال له أبو بكر: "على رسلك" فكره عمر - رضي الله عنه - أن يغضب أبا بكر وكان أعلم منه، والله ما ترك من كلمة أعجبهه في تزويره إلا قال أبو بكر - رضي الله عنه - في بدايته "مثلها" وأفضل منها حتى سكت، فقال:

أما بعد فما ذكرتم "فيكم" من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم" قال عمر - رضي الله عنه - أخذ أبو بكر - رضي الله عنه - بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح "وهو جالس بيننا"، فلم أكره مما قال غيرهما، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، وقال من الأنصار: أنا جديلهما المحكك وعذيقها المرحب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، وكثر اللغظ، وارتفعت الأصوات، حتى خشيت الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر



فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار.

أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر - رضي الله عنه -، خشينا إن فارقنا القوم، ولم تكن بيعة<sup>[١]</sup> أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فيه فساد.

وقال ابن إسحاق في السيرة: حدثني الزهري قال حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة<sup>[٢]</sup>.

وكانت بيعة أبي بكر يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ، في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[١] - وهي من المبادئ التي سنتها السقيفة، وهي أن يصافح الناس أميرهم علامة على الرضا بإمارته. وقد ظل هذا المبدأ، وتطور مع الزمن بيد أنه ظل على كل حال.

[٢] - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٦٩

فقام أبو بكر - رضي الله عنه - مخاطبا الناس بعد مبايعته: "والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبا، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، ولكنني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكنني قلدت أمرا عظيما مالي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به" وقال علي والزبير - رضي الله عنهما -: "وما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشاورة، وإننا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإننا لنعرف شرفه وكبره ولقد أمره رسول الله عليه الصلاة والسلام بالصلاة بالناس وهو حي".

وقد أخرج الدينوري في المجالسة، وابن عساكر عن الشعبي، قال: خص الله تبارك وتعالى أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس: سماه الصديق ولم يسم أحدا الصديق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفيقه في الهجرة وأمره رسول الله عليه الصلاة والسلام بالصلاة والمسلمون شهود<sup>[١]</sup> وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: خطب رسول الله صلى الله

[١] - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٦٠

عليه وسلم الناس وقال إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله قال: قال فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن عبد خير فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر" [١].

لقد شهد عهد أبي بكر الصديق الذي دام من ١١ هـ إلى ١٣ هـ، أحداثاً كان فيها الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثالا في الحكمة وقوة الإيثار وشجاعة الموقف، حيث هبت مشكلات خطيرة في الجزيرة العربية هي مشكلة المتنبئين والمرتدين ومانعي الزكاة، ورأى أبو بكر - رضي الله عنه - أن من واجبه أن يتصدى لهؤلاء جميعا مهما كانت التضحيات، وأحس أنه إذا لم يفعل فإنه يعرض الإسلام والدولة الإسلامية لأسوأ العواقب، وهبت معارضة قادها عمر ومعه بعض الصحابة، وقالوا: كيف لنا أن نواجه العرب جميعا، وقال آخرون:

[١] - صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب: لو كنت متخذًا خليلاً

نحارب المرتدين والمنتبئين، ولكننا لا نحارب مانعي الزكاة فإن لهم تأويلا يعتمدون عليه، وصرخ أبو بكر في عمر قائلاً: تكلتكم أمك يا ابن الخطاب، كنت أدخرك للشدائد فجئت تخذلني، وصرخ فيمن دافعوا عن مانعي الزكاة بقوله: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يعطونه لرسول الله لقاتلتهم عليه. وانتصر أبو بكر - رضي الله عنه - على المعارضة لأنه كان يعتمد على أصول إسلامية لا تسمح بالاجتهاد، وعندما شرحها خضع الجميع لرأيه.

ويروى أن عمر - رضي الله عنه - كان يأسف لتردده في الحرب في مطلع الأمر، وقال عمر بعد ذلك لولا أنت لهلكنا، فحارب أبو بكر الصديق هؤلاء وأولئك حتى فاءت الجزيرة العربية إلى ربها، وعادت خالصة للإسلام، وبعد ذلك وجه جيشاً إلى العراق بقيادة المثنى بن الحارثة ثم أعقبه بخالد بن الوليد، وتمكن ذلك الجيش من الانتصار الأولي على القوات الساسانية واحتل المسلمون مدينة الحيرة التي كانت عاصمة للمنادرة، في حين وجه جيشاً آخر إلى الشام تحت أربع قيادات عمرو بن العاص وكلف بفتح فلسطين، وشرحبيل بن حسنة وكلف بفتح الأردن، ويزيد بن أبي سفيان، وكلف بالتوجه نحو دمشق في حين كلف أبو عبيدة بن الجراح بالتنسيق بين هذه القوات. ولا تعاضمت

قوات البيزنطيين أمام المسلمين، كلف أبو بكر - رضي الله عنه - خالد بن الوليد بالالتحاق بالقوات بالشام وتحقيق الانتصار للمسلمين على القوة البيزنطية في معركة أجنادين سنة ١٣هـ، تلك المعركة التي كانت بداية تقويض القوات البيزنطية في الشام.

لكن وفاة أبي بكر أدت إلى تغييرات في القيادة بعد توليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ويعتبر أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أول من جمع القرآن الكريم بين دفتين، فقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعه، وإني لأرى أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري، فرأيت الذي رأى عمر، قال زيد: وعمر عنده جالس يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل، ولا تنتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف، والعسب، وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" إلى آخرها، فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما<sup>[١]</sup>. وأخرج أبو يعلى عن علي قال: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين"<sup>[٢]</sup>.

فلما اشتدت العلة بأبي بكر - رضي الله عنه - عهد إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأمر عثمان أن يكتب عهده، وكتب: {بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده من الدنيا خارجاً منها. وعند أول عهده بالآخرة داخلها حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب: إني استخلفت عليكم بعدي

[١] - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٧٧

[٢] - المصدر نفسه، ص: ٧٧.

عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا، فإن عدل فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ الشعراء الآية ٢٢٧. والسلام عليكم ورحمة الله! [١].

وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثمانية ليال بقين من جمادة الآخرة، وقيل لليلتين بقينا من سنة ١٣هـ، وصلى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ودفن في البيت الذي فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبتوفيق من الله لعمر جعله يسوس الأمة الإسلامية بما لا يختلف عما كان معروفا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر - رضي الله عنه - فقد التزم عمر القرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أبي بكر - رضي الله عنه - ومشورة الصحابة في حل ما عرض له من المشكلات، مما جعل حياة المسلمين تظل في عهده مستقيمة كما من قبله، وقد حققت الجيوش الإسلامية في عهد الفاروق رضي الله عنه - انتصارات كثيرة ازداد معها توسع الرقعة الإسلامية حيث تم لهم

[١] - حياة الصحابة للهروي، ١٧/٢ - ١٨

الانتصار الساحق على الجيوش البيزنطية في معركة اليرموك سنة ١٥هـ وبقيادة أبي عبيدة بن الجراح ومساعدة خالد بن الوليد "ت ٢١هـ" ليتبعها بعد ذلك في أقل من سنة معركة القادسية في ربيع ١٦هـ بقيادة سعد بن أبي وقاص فقوضت بدورها القوات الساسانية، فاضطرت القوات للتراجع نحو الخلف، فانتقل إلى الأطراف الغربية لإيران "منطقة جبال زاكروس". لقد استمرت المعارك في الشام التي انتهت بتحرير القدس "إيلياء - أورشليم" سنة ١٧هـ، حيث سلمها بطريقها "رئيس الكنيسة" إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد أن حاصرها عمرو بن العاص لمدة أربعة أشهر على اشتراط المحافظة على كنيستها، واستمر العمل اتجاه مصر التي فتحها عمرو بن العاص سنة ١٨هـ.

وانتهى الحكم البيزنطي فيها بسقوط العاصمة القديمة الإسكندرية سنة ٢١هـ، وبذلك طردت القوات البيزنطية من مصر والشام. وأقام عمرو بن العاص نواة مدينة الفسطاط التي هي اليوم ضمن القاهرة. ولقد استمر المسلمون في الفتوحات اتجاه إيران بعدما سقطت عاصمة الساسانيين الصيفية طيسفون عقب معركة القادسية وسموها بالمدائن، فكانت المعركة الحاسمة في نهاوند قرب همدان



حيث انتصر المسلمون بقيادة النعمان بن مقرئ المزني الذي استشهد في المعركة وخلفه حذيفة بن اليمان سنة ٢١ هـ. وهكذا نلاحظ أن رقعة الإسلام قد اتسعت في عهد هذين الخليفين اللذان ساسا الأمة الإسلامية بسياسة محكمة.

وتجدر الإشارة أن رقعة الاختلاف كانت ضيقة جدا في عهد الخليفين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -؛ وسبب ذلك من جهة أن الصحابة لم ينفرقوا في الأمصار، ومن جهة أخرى، أن أبا بكر وعمر كانا يرجعان إلى الصحابة فيما جد من المسائل. فعن ميمون بن مهران قال: "كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به قضي به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإن وجد ما يقضي به قضي به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضي فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سننها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضي به وكان عمر يفعل ذلك، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل هل كان أبو بكر قضي فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء، قضي به، وإلا جمع علماء

الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به [١].

## المبحث الثاني:

### الخلفاء الذين بدأت الفتن في عهدهم وأسباب ذلك

لما سبق ما سبق في علم الله تعالى، وطعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد الهاجوسي أبي لؤلؤة [٢] ظل وفيا لمبدأ الشورى حيث أنشأ مجلس الشورى لاختيار من يخلفه في تولية أمور المسلمين، وكان المجلس متركبا بالإضافة إلى عبد الله بن عمر من ستة أفراد هم: عثمان وعلي عبد الرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله.

وروي عن عمرو بن ميمون أنه لما طعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال له الصحابة: أوصي يا أمير المؤمنين، استخلف، قال ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير

[١] - اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن الجوزية، ١/٦٢

[٢] - وهو غلام للمغيرة بن شعبة وهو من العلوج، انظر قصة قتله لعمر - رضي

الله عنه - في صحيح البخاري، ١٩/٢

القول الرصين فيمن لابس ننتنة الجمل وصفين -

وطلحة وسعدا وعبد الرحمان"<sup>[١]</sup>: فتمت مبايعة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكان ذلك يوم الإثنين، مستهل المحرم سنة ٢٤ هـ.

وقد استقامت لعثمان، الأمور في الأعوام الأولى من توليته الخلافة، حيث استمرت جيوش المسلمين في الفتح شرقا وغربا، فاحتل المسلمون مدينة اصطبخر التي كانت العاصمة الشتوية للساسانيين وذلك سنة ٢٩ هـ، وعجز يزيدجرد الثالث عن توحيد الصفوف وإيجاد القوات مما أدى في النهاية لسيطرة المسلمين على إقليم خراسان سنة ٣١ هـ. وبذلك بلغ المسلمون حدود إيران بوصولهم إلى نهر جيحون "أموداريا". أما الإمبراطور يزيدجرد III فقد تم اغتياله في نفس السنة بمدينة مرو، وبذلك انهارت الإمبراطورية الساسانية التي عمرت أكثر من أربعة قرون بعد معارك إسلامية دامت حوالي عشرين سنة.

أما في المنطقة الغربية فإن الفتوحات استمرت إلى شمال إفريقيا ووصلت سنة ٢٧ هـ إلى إفريقية "تونس"، لكن انسحبت بعدما حققت الانتصارات، واتجهت الفتوحات أيضا نحو بلاد النوبة "السودان

[١] - صحيح البخاري، ٢١/٥، "قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان - رضي

حاليا". وكانت آخر المعارك الحاسمة في عهد الخلفاء الراشدين قد وقعت مع القوات البيزنطية وهي المعركة المشهورة بذات السواري أي لكثرة مشاركة السفن البيزنطية فيها، وكانت بقيادة الإمبراطور قسطنطين بسواحل آسيا الصغرى سنة ٣٤ هـ، وانهمز البيزنطيون على إثرها فغنم المسلمون أسطولهم، وبذلك تميز عهد عثمان بتحسين المناطق التي فتحها المسلمون، فامتدت من نهر جيحون شرقا إلى حدود تونس غربا، وشمالا إلى منطقة أرمينية وأذربيجان.

وبذلك يلاحظ أن معظم ما عرف بالبلاد الإسلامية قد فتح في ذلك العهد الذي تميز بتحطيم أسطورة القوتين العظيمتين بانقراض إحداهما أي الساسانية بعدما عمرت أربعة قرون وتحجيم الثانية في آسيا الصغرى والبلقان مع إضافة إيطاليا الجنوبية.

وجمع عثمان القرآن وألفه، وصير الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت فأحرقها، فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود. وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمان بن مهدي قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر - رضي الله عنهما - صبره على

نفسه حتى قتل، وجمعه الناس على المصحف<sup>[١]</sup>، إلا أنه بعد ذلك أدكيت نار الفتنة وبدأت رقعة الاختلاف تتسع، ولعل من أعظم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الفتنة تلك الدعاية الخبيثة التي تولى بثها ابن السوداء<sup>[٢]</sup>، وألف لها أنصارا يدعون لمذهبه في الوصية والرجعة<sup>[٣]</sup>، والطعن على ولاية عثمان بما زعموه أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر.

ومن أهم الأسباب أيضا عزل عثمان عمال عمر، وتولية بدلهم من أقاربه، فعزل عمر بن العاص عن الفسطاط، وولى بدله عبد الله بن

[١] - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٦٣.

[٢] - هو عبد الله بن سبأ أحد يهود اليمن الذين أسلموا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ونظم دعابة ليوقع الفوضى بين المسلمين في عهد عثمان - رضي الله عنه - كما سنوضح ذلك في الفصل الرابع، إلى شاء الله تعالى.

[٣] - من مبادئ السبئية القول برجعة الرسول عليه الصلاة والسلام بعد موته، ويقيسون ذلك على رجوع موسى من التيه أو ما روي من رجعة عيسى بن مريم كذلك، يقول ابن السوداء بأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافة علي بعده وأنه عليه السلام وصى المسلمين في نص وضعوه كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنشرحه في الفصل الرابع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

سعد، وعزل أبا موسى الأشعري، وعزل المغيرة بن شعبة وولى على العراق عبد الله بن عامر، وجعل مروان متصرفا في شؤون الخلافة ومعاوية منفردا بأجناد الشام، وبذلك أصبح المهاجرون والأنصار ليس لهم من أمر الدولة شيء، وقد قامت بسيوفهم وتضحياتهم.

ولذلك تفاعلت هذه الأسباب مجتمعة، وكانت تلك الفتنة الجاححة التي لم يستطع كبار المسلمين أن يحولوا بينها وبين هدفها الوحيد من عزل عثمان أو قتله إن لم يعتزل.

ولما ارتفعت الشكوى من عمال عثمان وإشاعة استبدادهم بالرعية في إماراتهم، ذهب وفود من الفسطاط والبصرة والكوفة متظلمة من أمراء عثمان في نواحيهم، وقد حاول عثمان أن يصلح ويتلافاه كما تكلم علي عدة مرات في هذا الشأن، وصرف الوفود إلى بلادها ولكن عثمان بتحريض مروان بن الحكم فيما قيل قد أبى الاستماع إلى نصائحه، وأخيرا جاءت الوفود إلى المدينة تحمل كتابا يقال إنه من مروان، كتبه بخطه وختمه بخاتم الخليفة وأرسله مع ورش - غلام عثمان - إلى عامله على مصر يأمره الخليفة بقتل الذين وفدوا على المدينة، ولقد عرض الكتاب على الخليفة عثمان؛ فصرح بأنه لا يعلم من أمره شيئا، وهنا طلبوا منه أن يسلم إليهم مروان فأبى أن يسلمه، فاستشاطوا

غضبا، وحاصروا الخليفة في بيته ومنعوا الناس عن مخالطته ومكالمته ثم أشرف عثمان على الناس بعد منع الماء عنه فقال أنشدكم الله هل تعلمون أنني اشتريت بئر رومة بمالي ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعوني أن أشرب حتى أفطر على ماء البحر، ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنني اشتريت أرض كذا فزودتها في المسجد.

قالوا نعم، قال: فهل علمتم أن أحدا منع فيه الصلاة من قبلي ثم قال أنشدكم الله أتعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عني كذا وكذا، الأشياء عددها في مآثره فأثرت مقالته في كثير منهم حتى قالوا: مهلا عن أمير المؤمنين، فصرخ بهم شيطان هذه الفتنة لعله مكر به وبكم. ولما خاف الثوار أن يطول عليهم الأمد فتأتيهم جنود الأمصار، قصدوا الباب فقاتلهم جمع من أولاد الصحابة، ولكن أنى يعلمون وقد جاءهم ما لا قبل لهم به؟ وأشار عثمان على من قاتل أن يكف وهو في حل من نصرته، فأحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى من تلاوته ثم قال لمن عنده بالدار: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد عهد إلي عهدا فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب إلا وهم يريدون

أعظم منه وأمرهم بالانصراف ثم قال للحسن بن علي: إن أباك لفي شغل عظيم من أمرك فأقمست عليك لما خرجت إليه فلم يسمعوا قوله وقاتلوا دونه ولكن أنى لهم ذلك وهم في قلة والعدو كثير؟ فقتل بعضهم بعضا وجرح بعض ونجا آخرون ثم تسور بعض الثوار دار بني حزم المجاورة لدار عثمان و خلوا عليه فقال قائل اخلعهما وندعك فقال عثمان ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولست خالعا قميصا كسانيه الله حتى يكرم الله أهل السعادة فخرج الرجل ولم يصنع شيئا ثم جاء آخر فقال له كما قال للأول فرجع فجاءهم عبد الله بن سلام وقال لهم يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف.

إن مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه لتتركنها فشتموه ثم دخل على عثمان الذين كتب عليهم الشقاوة فقتلوا هذه النفس الزكية ظلما وعدوانا في الشهر الحرام والبلد الحرام لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وهذا هو التاريخ المشؤوم الذي كان فيه فتح الشر والشقاوة بين المسلمين وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقد رثاه



كثير من الشعراء، قال حسان بن ثابت:

من سره صرفا لا مزاج له  
فليات مأدبة في دار عثمانا  
ضحوا بأشمط<sup>[١]</sup> عنوان السجود به  
يقطع الليل تسبيحا وقرآنا  
صبرا، فدى لكم أمي وما ولدت  
قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا  
لتسمعن وشيكا في ديارهم  
الله أكبر يا ثارات عثمانا

وهذا الأمر الشنيع الذي قام به الثوار قد خالفوا فيه الشرع جهارا في عاصمة الخلافة الإسلامية ومهبط الوحي النبوي، وشقوا عصا طاعة الإمام الذي انتخب انتخابا شرعيا وأقر عليه أكابر أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام الذين عهد إليهم بذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ولم يكن تم ما يوجب الخروج عليه إذ لا يوجهه إلا الكفر البواح.

وقد واجه المسلمون إثر قتل عثمان رحمه الله، مشكلتين من أخطر

[١] - ضحوا بأشمط: أي أبيض: يعني ذبحوا رجلا أشيب كما تذبح الضحية.

ما عرض لهم من المشكلات منذ خلافة أبي بكر، إحداهما تتصل بالخلافة نفسها والأخرى تتصل بإقرار النظام وإنفاذ أمر الله فيمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فقد أمسى المسلمون يوم قتل عثمان - رضي الله عنه - وليس لهم إمام يدبر لهم أمورهم ويحفظ عليهم نظامهم وينفذ فيهم سلطانهم ويقيم فيهم حدود الله ويرعى بعد هذا كله أمور هذه الدولة الضخمة التي أقامها أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وزادهما عثمان سعة في الشرق والغرب.

فهذه البلاد التي فتحت عليهم ولم يستقر فيها سلطانهم بعدما كانت في حاجة إلى من يضبط أمرها ويحكم نظامها ويبعد حدودها التي لم تكن تثبت إلا للتغيير، لاتصال الفتح منذ نهض أبو بكر - رضي الله عنه - بالأمر إلى أن كانت الفتنة وشغل المسلمون بها أو شغل فريق من المسلمين بها عن الفتوح.

فكان طبيعيا إذا، حين قتل عثمان أن يفكر الناس في علي - رضي الله عنه - وفيما غلب عليه من حقه، ولكنه مع ذلك لم يطلب الخلافة، ولم ينصب نفسه للبيعة إلا حين استكره على ذلك استكراها، وحين هدده بعض الذين ثاروا على عثمان - رضي الله عنه - بأن يبدؤوا به فيلحقوه بصاحبه المقتول، وحين فزع إليه

المهاجرون والأنصار من أهل المدينة يلحوه عليه في أن يتولى أمور المسلمين ليخرجهم من هذه الفتنة المظلمة، ثم هو حين قبل البيعة لم يكره عليها أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما قبل البيعة ممن بايعه وترك من لم يرد أن يبايعه.

وقد أخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عباس قال: سمعت عليا يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي أن يبايع قوما قتلوا عثمان، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما رجع الناس فسألوني البيعة؟ قلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت. فقالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى<sup>[١]</sup>، إلا أن معاوية لم يقبل هذه البيعة وطالب بدم عثمان، وكذلك فعلت عائشة - رضي الله عنها - وطلحة والزبير، إلا أن عليا كان يرى بأنه قد وقع عليه الاختيار فهم ملزمون بالسمع والطاعة وعدم الخروج عن الجماعة فأدى ذلك إلى حدوث وقعتين مؤلمتين في

[١] - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٦٢

التاريخ الإسلامي وهما معركة الجمل<sup>[١]</sup> ومعركة صفين<sup>[٢]</sup> التي انتهى فيها الأمر إلى التحكيم<sup>[٣]</sup> والذي أدى بدوره إلى انقسام أصحاب علي إلى فريقين: شيعة وخوارج.

وبذلك ظهرت تكتلات سياسية، الشيعة وهم الذين صاروا على حبهم لعلي، والخوارج الذين خرجوا عن علي ولم يقبلوا التحكيم وفريق ثالث وهم الأمويون بالشام الذين يطالبون بدم عثمان - رضي الله عنه -.

[١] - وهي أول معركة نشبت بين المسلمين وكانت بين عائشة وطلحة والزبير من جهة وعلي - رضي الله عنه - من جهة أخرى، وقد سميت بمعركة الجمل نسبة إلى الجمل الذي كانت عائشة - رضي الله عنها - تركبه وسيتم التوسع فيها في الفصل الثالث المبحث الثاني.

[٢] - وهي معركة وقعت بين علي - رضي الله عنه - ومعاوية - رضي الله عنه - وانتهى فيها الأمر إلى التحكيم الذي أدى بدوره إلى تثبيت معاوية وعزل علي وسيتم التطرق إلى ذلك بتفصيل في الفصل IV المبحث الثاني.

[٣] - وقد دعى إليه أنصار معاوية حينما أحسوا بالهزيمة، وقالوا نحكم كتاب الله فيما بيننا " فعين علي - رضي الله عنه - أبو موسى الأشعري، في حين عين معاوية عمرو بن العاص وانتهى التحكيم إلى النهاية التي انتهى إليها، وسيتم التطرق إليه في الفصل الرابع المبحث الثاني

فرجع بعد ذلك عمرو بن العاص إلى معاوية فسلم عليه بالخلافة، ورجع عبد الله بن عباس إلى علي بالكوفة، فرده إلى البصرة أميرا عليها ثم اجتمع الناس بالكوفة فقام علي فيهم خطيبا، فقال الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجلل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

أما بعد: "فإن المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم. وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري. ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر، ولكن أبيتم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد<sup>[١]</sup>

إلا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكيمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحيا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدي من الله فحكما بغير حجة بينة، ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله

[١] - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي،

وصالح المؤمنين... استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين، ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهران: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين، وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد: فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيناهاما حكيمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدي من الله فلم يعملوا بالسنة، ولم ينفذا القرآن، حكما. فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنين. فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا، فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه، فكتبوا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نبذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فخرجوا في ثمانية آلاف، وقيل: في اثني عشر ألفا، فوجه إليهم علي عبد الله بن عباس، فكلمهم، واحتجوا عليه، فخرج إليهم علي فقال: أتشهدون علي بجهل؟ قالوا: لا! قال: فتنفذون أحكامي؟ ثم جعلوا يقومون فيقولون: لا حكم إلا لله، فيقول علي حكم الله انتظر فيكم. وخرجوا من الكوفة فوثبوا على عبد الله ابن خباب بن الأثر، فقتلوه وأصحابه، فخرج إليهم علي، فناشدهم الله، فرجع يومئذ منهم

ألفان، وأقام أربعة آلاف، والتحمت الحرب بينهم زوال الشمس، فأقامت مقدار ساعتين من النهار، فقتلوا من عند آخرهم، ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة، وكانت وقعة النهروان سنة ٣٩ هـ.

لقد جاء توقف الصراع بقتل علي يد الخارجي عبد الرحمان بن ملجم<sup>[١]</sup> في حين بوبيع معاوية م في ١٧ رمضان ٤٠ هـ، فبايع العراقيون الحسن بن علي، في حين بوبيع معاوية في القدس من طرف الشاميين واستعد الطرفان للقتال، لكن الحسن فضل الصلح لذي يلزم معاوية بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء، وأنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين بعد معاوية. وبذلك فتح المجال لاستمرار الشورى عندما تهدأ النفوس، وتسترجع الأمة الناشئة وحدتها، وعبر الحسن رضي الله عنه عن ذلك بقوله: "يا أيها الناس إن الله هدى أولكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا" ورجع الحسن من الكوفة إلى

[١] - وهو عبد الرحمان بن ملجم المرادي الخارجي، كان مكلفا بقتل علي، انظر قصة قتل علي رضي الله عنه - في كتاب الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرص: ١١٢٣.

المدينة واستقر بها حتى كانت وفاته رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ، وقد عرفت ٤١ هـ بعام الجماعة لإجماع الأمة على خليفة واحد بعد تنازل الحسن.

يمكننا من الدراسة السابقة أن نستنبط أن عليا لم يكن مرغوبا فيه فقد كان علي غرة بني هاشم، وكان يطالب بالخلافة باسم القرابة من الرسول؛ ومعنى هذا أن إسناده الخلافة إليه يعني أن تظل الخلافة في بنيه، وهذا مبدأ لا يقره الإسلام ولا يقبله العرب ولا يرتضيه الطامعون كما سبق القول، وكان لعلي كما قلنا آفا - أعداء كثيرين يكتمون العدو أو يظهرونها، لأنه الذي قتل بسيفه زهرات الشباب في الغزوات المتعددة، وكان حكم علي معناه العودة إلى حكم عمر - رضي الله عنه - في صلابته وحزمه، وقد وجد كثير من الناس الراحة في سهولة عثمان - رضي الله عنه -، فكيف لهم بالعودة إلى الدقة والصرامة والحساب؟ وكان هناك كثيرون أثروا بالباطل وحصلوا ظلما على نفوذ كبير، ومعنى حكم علي ضياع ثروتهم وفقدان سلطانهم، لهذه الاعتبارات وغيرها لم يكن علي مرغوبا فيه، والله أعلم!



## المبحث الثالث:

### تعديل الصحابة وحسن الظن بهم

لقد كانت طريقة السلف ولا تزال تتوخى في أمور الديانة لزوم السنة والجماعة، وترك التعنت والمغالاة على المستويين الاعتقادي والمنهجي، وأخذ الأمور بمقاديرها الحقيقية وتقييم أهميتها وأولويتها بما خص لها من مساحة في النصوص الشرعية مادة ومعنى وترك الخوض فيها لم تؤمر فيه بتعميق البحث مما لم يخض فيه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، فليس كثرة العلم عن كثرة الجدل، ونحن بدورنا كذلك سنسلك منهج السلف الصالح في إثبات عدالة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في القرآن والسنة، وما أثر عن أهل العلم؛ لأن الخلق محبوبون عن الحق إلا بروي الوحيين، ذلك المنهج الذي لا يخضع لقالة متهورة ومقولة مستهتره، التي تزعم العصرية في كل شيء، غير مفرقة بين الثوابت والمتغيرات، فارتكبت في هذا مغالطات، ومن ذلك نبغت نابغة استهانت بالأمر العتيق واشمأزت من عرض أصالة الإسلام.

فأما عدالة الصحابة في القرآن، فقد دلت عليها آيات كثيرة منها

قوله تعالى في سورة الفتح الآية ٢٩ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرِيَهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِبَاهُمْ فِيهِ وَجُوهِهِمْ مِّنَ آثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فهذه الآية تعم جميع الصحابة من غير تخصيص أو استثناء، بل المدح والثناء والتعديل جار في حق كل من استحق الانتظام في سلكهم والدخول في زمرتهم، فمتى سمي صحابيا، فهو داخل لا محالة في دائرة العدالة، بعيد عن التخريج والتنقيص والطنع، ومن ارتكب شيئا من هذا في حق أحدهم فقد عصى الله فيما أمر وضاده فيما حكم، لأن الله تعالى وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم قال الصابوني في تفسير هذه الآية: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. أي وعدهم الله تعالى في الآخرة بالمغفرة التامة والأجر العظيم والرزق الكريم في جنات النعيم، اللهم ارزقنا محبتهم يا رب العالمين<sup>[١]</sup>.

[١] - صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ٣ / ٢٢٨-٢٢٩

وقال تعالى أيضا في سورة الفتح الآية ١٨ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، والآية وإن وردت في أهل بيعة الرضوان من الصحابة خاصة، فإن الصحابة وإن تفاوتت درجاتهم من حيث السابقة والتضحية والبذل وما إلى ذلك من ألوان المناقب والفضائل فإن العدالة تشمل جميعهم، لا يختص بها من زاد الفضائل دون غيره، فما علمه الله مما في قلوب الصحابة من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة هو ما في قلوب الصحابة كلهم.

وقال تعالى أيضا في سورة الأنفال الآية ٧٤ في حق المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله، والأنصار أهل المأوى والنصرة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فنعتهم سبحانه وتعالى بأنهم المؤمنون الكاملون في إيمانهم الصادقون فيه، وليس غيرهم مثلهم في الإيثار، ولا يستحق هذا الفضل إلا من كان مثلهم مقدم ما قدموا". يقول الصابوني رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أولئك هم المؤمنون حقا" أي هؤلاء هم الكاملون في الإيثار، المتحققون في

مراتب الإحسان " لهم مغفرة ورزق كريم " أي لهم مغفرة لذنوبهم،  
ورزق كريم في جنات النعيم<sup>[١]</sup>.

وقال تعالى في بيان فضائل فقراء المهاجرين والأنصار في سورة  
الحشر الآية ١٠ ﴿لِلْبُقَرَاءِ الْمَهْجَرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ بَصَلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا  
وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُبْلِحُونَ﴾.

لقد وصفهم القرآن بالرسوخ في الصدق في دينهم وأعمالهم لما  
قدموا لله ورسوله من النصره والصبر على الديار والأموال وتحمل  
مشاق الهجرة ومفارقة الأهل والدار، حيث يقول الصابوني في تفسيره:  
" أولئك هم الصادقون؛ أي هؤلاء الموصوفون بالصفات الحميدة هم  
الصادقون في إيمانهم، قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار  
والأموال، والأهلين والأوطان حبا لله ورسوله، حتى إن الرجل منهم

[١] - صفوة التفسير للصابوني، ١/٥١٦-٥١٧

كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع<sup>[١]</sup>.

وقال تعالى في وصف أهل السابقة من المهاجرين والأنصار في سورة التوبة الآية ١٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وأما الذين اتبعوهم بإحسان، فيدل السياق على أنها طائفة أخرى من الصحابة متأخرة عن الأولين، لأن الرضى شمل الجميع في سياق واحد من غير فصل. فدل الكلام عن الصحابة على تفاوت طبقاتهم، وقيل المراد من تبع الصحابة من التابعين لهم ممن يخط بشرف الصحبة، ورضي الله عنهم غاية في التعديل والقبول وذلك سبب في دخول جنات النعيم والفوز العظيم، قال الصابوني في تفسير قوله تعالى "رضي الله عنهم ورضوا عنه" وعد بالغفران والرضوان، أي رضي الله عنهم وأرضاهم، وهذا أرقى المراتب التي يسعى إليها المؤمنون، ويتنافس فيها المتنافسون أن يرضى الله تعالى عنهم ويرضيهم قال الطبري: رضي الله عنهم لطاعتهم إياه، وإجابتهم نبيه، ورضوا عنه لما

[١] - صفوة التفسير للصابوني ٣/٣٥١

أجزل لهم من الثواب على الطاعة والإيمان" [١].

وهكذا فإن الآيات القرآنية تصف صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم، بالصدق والإيمان المنقطع النظير، والتفاني في خدمة الدين ونشره، وبذل المهج والنفائس، لم يبالوا بهال ولا أهل ولا متعة ولا لذة حياة، باعوا أنفسهم حين اشترى الله. وهذا كله مثبت عدلتهم على أوسع نطاق وأكمله، وأتم وجه وأشرفه، ضمنه سبحانه في غضون طائفة من الخصال الحميدة والنعوت الجليلة، والمحاسن والمكارم التي حفهم بها والشاء العطر الذي عبقت ريحه في القرآن في شأن زمرة الإيمان والإخلاص.

. والأحاديث في فضائل الصحابة والوصية بتوقيرهم واحترامهم كثيرة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه".

إن هذا الحديث قد ورد على سبب؛ وذلك أنه كان بين خالد بن

[١] - صفوة التفسير للصابوني، ١/٥٥٩

الوليد وعبد الرحمان بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم.... فذكره: فنهى عن سب الصحابة لأنه إهانة لا تليق بمقامهم، وإذا نهي خالد سيف الله عن سب عبد الرحمان، وكلاهما صحابي فذلك في حق غير الصحابة أشد وأعظم، كأن يسب غير الصحابي صحابيا.

ويستفاد من هذا الحديث أيضا، النهي الصريح عن سب الصحابة جميعا من غير استثناء، واقرن النهي بإضافة الصحبة إلى نفسه صلى الله عليه وسلم، لبيان اختصاص هذا الأمر ومزيد الاهتمام به وتعظيمه والتحذير من مخالفته. والنهي يقتضي التحريم إذا لم تكن هناك قرينة تصرفه إلى الكراهة.

كما استفاد منه أيضا، أن من سب الصحابة وصفهم بغير العدالة، قال السخاوي: "وجه الاستدلال به أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لاسيما وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى".

ومن ذلك أيضا، ما أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم

الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..."، ثم الذين يلونهم... "[١].

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين" أخرجه البزار بسند رجاله موثقون [٢].

. وأما عدالة الصحابة عند علماء السنة والجماعة؛ فقد حكى الآمدي أن تعديل الصحابة هو الصواب المعتمد وعليه الجمهور، وكذا قال ابن الحاجب، وممن حكى الإجماع على القول بعدالتهم إمام الحرمين الجويني قال: "ولعل السبب فيه أنهم نقلت الشريعة، فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما استرسلت على سائر الأمصار" [٣]. وقال أبو زرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة

[١] - صحيح البخاري، ٣/٢

[٢] - فتح المغيث للسخاوي، ١١١/١٠

[٣] - فتح المغيث للعراقي ص: ١١٢ .



والجرح بهم أولى وهم زنادقة" [١].

وقال الحافظ الكبير بن الخطيب البغدادي: "والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله تعالى لهم - المطع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له.... على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد، والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبد" [٢].

فمن خلال هذه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، وأقوال أهل العلم يتبين أنه لازم علينا تعديل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجريح أحد منهم، لأن لهم الفضل علينا والمنة بالسبق،

[١] - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله

عليه وسلم، لابي بكر بن العربي، ص: ٢٤

[٢] - المصدر نفسه، ص: ٢٤

وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم. وندعو لهم قائلين: ﴿رَبَّنَا  
إِغْفِرْ لَنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الحشر الآية ١٠

## الفصل الثالث:

# الصحابة الذين لابسوا الفتنة

وقف لله تعالى

88

— القول الرصين فيمن لابس سنة الجمال و صفيين

## المبحث الأول:

### التعريف بالصحابة الذين لابسوا الفتنة

لقد اصطدم الصحابة - رضي الله عنهم - بسيوفهم كما هو معلوم ومقرر في كتب السلف الصالح، وكان ذلك في وقعتين مؤلمتين هما: معركة الجمل وصفين، فمعركة الجمل كانت فيها المواجهة بين عائشة وطلحة والزبير من جهة وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى، وأما معركة صفين فكانت فيها المواجهة بين علي ومعاوية، فهؤلاء الخمسة - رضي الله عنهم - بالإضافة إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الذي مورست عليه الفتنة، واندلعت بوفاته، إذا نظرنا إلى أخلاقهم وتضحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الله، فإن ذلك يجعلنا ننسى كل ما وقع بينهم ولا نذكرهم إلا بخير - رضي الله عنهم أجمعين -

#### أولاً: طلحة بن عبيد الله القرشي رضي الله عنه التميمي

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو محمد، القرشي التميمي، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية، يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض، وهو من السابقين

الأولين إلى الإسلام<sup>[١]</sup>، دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، فأخذه ودخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدرا لأنه كان بالشام، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وبإيع بيعة الرضوان، وأبلي يوم أحد بلاء عظيما، ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، واتقى عنه النبل بيده، حتى شلت إصبعه، وضرب على رأسه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى صعد الصخرة وروي عن علي بن أبي طالب قال: "سمعت أذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "طلحة والزبير جاراي في الجنة" وقتل طلحة يوم الجمل، وكان شهد ذلك اليوم محاربا لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فذكر بعض أهل العلم أن عليا دعاه، فذكره أشياء من سوابقه، على ما قال للزبير، فرجع عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرمي بسهم في رجله، وقيل إن مروان بن الحكم هو الذي رماه، وكان ذلك في ٣٦ هـ - رضي الله عنه وأرضاه وأدخله فسيح جناته- [٢].

[١] سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١/٢٤

[٢]. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ٣/٨٥

### ثانيا: الزبير بن العوام رضي الله عنه

وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي، بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأسدي، يكنى أبا عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فهو ابن عمه رسول الله، وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر، بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب واكتنى هو بأبي عبد الله، بابنه عبد الله، وأسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وأخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود، لما أخى بين المهاجرين والأنصار أخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وروي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير بن العوام"، وأخرج ابن جرير عن قطن بن عبد الله قال: كان ابن الزبير - رضي الله عنهما - يواصل سبعة أيام حتى تبيس أمعاه.

وعنده أيضا عن هشام بن عروة قال: "كان عبد الله بن الزبير

يواصل سبعة أيام فلما كبر جدا جعلها ثلاثا"<sup>[١]</sup>.

[١] - حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي، ٢/٤٩٥

وكان أول من سل سيفاً في سبيل الله عز وجل، وكان سبب ذلك أن المسلمين لما كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، وقع الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أخذه الكفار، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فقال له: "مالك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له ولسيفه" وشهد الزبير بدرًا وكان عليه عمامة صفراء معتجراً بها، فيقال: إن الملائكة نزلت يومئذ على سماء الزبير. وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحداً والخندق والحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف، وشهد فتح مصر، وجعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو عنهم راض، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد ذكر أن الزبير بن العوام أوصى لابنه صبيحة الجمل، فقال:

ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى انتهى ذلك إلى فرجه، وشهد الزبير الجمل مقاتلاً لعي، فتاداه علي ودعاه، فانفرد به وقال له: أتذكروا إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر إلي وضحك وضحكت فقلت أنت: لا



يدع ابن أبي طالب زهوه فقال: ليس بمزه، ولتقاتلنه وأنت له ظالم، فذكر الزبير ذلك، فانصرف عن القتل، فنزل بوادي السباع وقام يصلي، فأثاه ابن جرموز فقتله؟ وجاء بسفيه إلى علي فقال: إن هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار وكان قتله يوم الخميس لعشر من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين رضي الله عنه وأرضاه آمين<sup>[١]</sup>.

### ثالثا: عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الله، وأبا عمرو، ولد في السنة السادسة بعد الفيل، أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عممة رسول الله عليه الصلاة والسلام، زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته: رقية ثم أم كلثوم واحدة بعد واحدة، وقال: لو كان عندي غيرها لزوجتكها، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سألت ربي عز وجل ألا يدخل النار أحدا صاهر إلي أو صاهرت

[١] للمزيد ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساکر، ٢٥٨/١٠

إليه"، وفي صحيح مسلم عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيته، كاشفا عن فخديه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عم فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: "ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة".

ويروى عن النزال بن سبرة الهلالي قال: قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين، فحدثنا عن عثمان بن عفان، فقال: ذلك امرؤ يدعى في الملاء الأعلى ذو النورين، كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه، ضمن له بيتا في الجنة".

واشترى عثمان -رضي الله عنه- بئر رومة، وكانت ركية\* ليهودي يبيع المسلمين ماءها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من

\* بئر لم تطو: أي البئر التي لا أطراف لها، وهي عبارة حفرة في الأرض ينبع فيها الماء أو يجمع.

يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم، وله بها مشرب في الجنة". فأتى عثمان اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم. فجعله للمسلمين فقال له عثمان - رضي الله عنه - إن شئت جعلت على نصيبي قريتين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم قال: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدت علي ركيبي، فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يزيد في مسجدنا؟ فاشترى عثمان - رضي الله عنه - موضع خمس سوار فزاده المسجد.

وجهب جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأنتم من الألف بخمسين فرسا، وبويع لعثمان - رضي الله عنه - بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بثلاثة أيام باجتماع الناس عليه. وقتل بالمدينة لثمان عشرة أو سبع عشرة من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة رضي عنه وأكرم متواه<sup>[١]</sup>.

[١] للتوسع ينظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر، ص: ١٠٣٧

### رابعاً: علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هو علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي القرشي الهاشمي، زوجه عليه الصلاة والسلام بنته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة، فجاء منها بالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وناب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة أوائل التوبة في موسم الحج، إيذاناً ببراءة الله ورسوله من المشركين، ويكنى أبا الحسن، وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا تراب، حيث يروى أنه دخل على فاطمة، ثم خرج من عندها فاضطجع في صحن المسجد، قال: فجاء رسول الله عليه الصلاة والسلام على فاطمة - رضي الله عنها- فقال: أين ابن عمك؟ قالت: هو ذاك مضطجع في المسجد، قال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: اجلس يا أبا تراب، فوالله ما سماه به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما كان أيم أحب إليه منه، وكان أول من أسلم من الرجال.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "لعلي أربع خصال ليست

لأحد غيره: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو الذي كان لواءه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره".

وأجمع العلماء على أنه صلى القبلتين، وهاجر وشهد بدرًا والحديبية، وسائر المشاهد، وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخير بلاء عظيمًا، وأنه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقام الكريم. ولم يتخلف عن مشهد شاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة، إلا تبوك، فإنه خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. وكان من العشرة المشهود لهم بالجنة. وكان من أعلام قريش، حيث شهد له بوفرة علمه وورعه وتقواه، قال صلى الله عليه وسلم "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتيه من بابها".

وروي عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: "والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر". وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم

بموت ابن أبي طالب. فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال له: دعني عنك.

وتوفي - رضي الله عنه - قتيلا في الكوفة على يد عبد الرحمان بن ملجم المرادي الخارجي كما رأينا سابقا سنة أربعين للهجرة، رضي الله عنه وجعله بجوار نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>[١]</sup>.

### خامسا: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا عبد الرحمان، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح.

وقد روي عن معاوية أنه قال: "أسلمت يوم القضية"<sup>[٢]</sup> ولقيت النبي صلى الله عليه وسلم مسلما". وشهد حنيناً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستون حديثاً، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير،

[١] للاستزادة ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابت عساكر، ٢٣/٢٣١

[٢] - يعني في عمرة القضاء.

وأبو الدرداء، وجريير البجلي، والنعمان بن بشير، ومن التابعين، ابن المسيب وحميد ابن عبد الرحمان وغيرهما، وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم، وقد روي في فضله أحاديث - قلما تثبت - أخرج الترمذي حديثا وحسنه، عن عبد الرحمان بن أبي عميرة الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية - رضي الله عنه - "اللهم اجعله هاديا مهديا"، وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم علم معاوية الكتاب والحساب ووقه العذاب".

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال: "قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معاوية إذا ملكت فأحسن". ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، فلما مات يزيد استخلفه على دمشق، فأقره عمر، ثم أقره عثمان، وجمع له الشام كله، فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة، مات معاوية في شهر رجب سنة ستين للهجرة، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير، وقيل إنه عاش سبعا وسبعين سنة. وكان أول من جعل ابنه ولي العهد خليفة بعده في صحته، فرضي الله عنه

وأرضاه وجعله على سرر متقابلا مع إخوانه رضي الله عنهم أجمعين<sup>[١]</sup>.

### سادسا: عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

هي بنت "أبي بكر الصديق" رضي الله عنه؛ وهو: "عبد الله ابن أبي قحافة: عثمان عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، يلتقي عند "مرة" برسول الله صلى الله عليه وسلم"، القرشية، التيمية، المكية أم المؤمنين. وذهب جمهور المؤرخين وعلماء الأنساب إلى أن اسم والدها: "عبد الله" سماه به النبي صلى الله عليه وسلم عندما أسلم، وكان اسمه من قبل: "عبد الكعبة" ولقبه "عتيق".

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: "أن أباه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنت عتيق الله من النار". فيومئذ سمي عتيقا، وكنيته: أبو بكر، والبكر لغة: هو الفتى من الإبل، وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يناديه بكنيته هذه. ودعي في الإسلام ب "الصديق" ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأمها "أم

[١] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ص: ١٤١٦



رومان"، واختلف في اسمها فقييل "زينب" وقيل "دعد" بنت "عامر" بن عويمر بن عبد شمس واختلف في نسبها من "عامر" إلى "كنانة" لكن اتفقوا على أنها من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة.

وقد ولدت السيدة "عائشة" - رضي الله عنها - في السنة الرابعة بعد البعثة النبوية الشريفة. وهي أصغر من السيدة "فاطمة" - رضي الله عنها - بثماني سنين. قال الزركشي "لم ينكح النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبواها مهاجران سواها".

إن هذا الاسم الذي عرفت به السيدة "عائشة" - رضي الله عنها - مأخوذ ومشتق من العيش. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديا أحيانا: "يا عائش" على الترقيم. وروى البخاري في صحيحه عنها، قالت: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا عائش" هذا جبريل يقرؤك السلام".

وروى الترمذي: أن رسول الله خاطبها بقوله عليه الصلاة والسلام: "يا موفقة، وكثيرا ما نادها عليه الصلاة والسلام ب "يا بنت الصديق، يا بنت أبي بكر".

وقد احتلت السيدة "عائشة" في قلب النبي صلى الله عليه وسلم

منزلة رفيعة من المحبة لم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين، وعرف الصحابة لها هذه المنزلة وأقروا بها.

قال أنس بن مالك: "أول حب كان في الإسلام حب النبي عليه الصلاة والسلام ل "عائشة" - رضي الله عنها" - فعن عائشة - رضي الله عنها - أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هذه زوجتك في الدنيا والآخرة" [١]. وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام رحمه الله "وفي الجملة الكلام في تفضيل عائشة وخديجة ليس هذا موضع استقصائه، لكن المقصود هنا، أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها، وأن نساءه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن، كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين. وقد ثبت في الصحيح أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة لما يعلمون من محبته إياها، حتى أن نساءه غرن من ذلك وأرسلت إليه فاطمة - رضي الله عنها - تقول له نسائك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لفاطمة أي بنية أما تحبين ما أحب قالت بلى قال: فأحبي هذه" [٢] الحديث في الصحيحين.

[١] - سنن الترمذي، باب مناقب عائشة - رضي الله عنها - رقم الحديث: ٣٦٤٣

[٢] - منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ١/ ١٨٦

ولقد كانت - رضي الله عنها - أفعه نساء عصرها وكانت معلمة الرجال والأجيل.

قال الحاكم في المستدرک: "إن ربع أحكام الشريعة نقلت عنها"، وليس في هذا القول أو هذه الشهادة أية مبالغة على الرغم من اتساع الحكم وشموله. فقد كان العلم من أبرز صفات السيدة "عائشة" - رضي الله عنها -، إذا بلغ علمها ذروة الإحاطة والنضج في مختلف ما اتصل بالدين من قرارات وتفسير وحديث وفقه، وكان أكابر الصحابة رضوان الله عليهم إذا أشكل عليهم الأمر في قضية من القضايا يستفتونها، فيجدون علمه عندها، قال أبو موسى الأشعري: " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط، فسألنا "عائشة" إلا وجدنا عندها منه علماً".

وفي شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة والخمسين للهجرة، مرضت السيدة عائشة - رضي الله عنها - مرض الوفاة، فأوصت: "ألا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء" ولما اشتد المرض عليها، استأذنها عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - لعيادتها، فأكب عليها ابن أخيها "عبد الله" بن عبد الرحمن فقال: هذا "عبد الله بن عباس، يستأذن عليك، فعرفت أنه يريد أن يثني عليها ويزكيها، فقالت:

دعني من "ابن عباس" فإنه لا حاجة لي به ولا بتزكيتيه فقال: يا أمته... إن "ابن عباس" من صالحي بيتك يسلم عليك ويودعك فقالت: فاذن له إن شئت.

فلما أن سلم وجلس قال: أبشري، قالت: بم؟ قال: ما بينك وبين أن تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله إلي، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيبا، وسقطت فلادته ليلة "الأبواء"، فأصبح رسول الله ليطلبها حي يصبح في المنزل، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله أن تيمموا صعيدا طيبا، فكان ذلك من سببك، وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه إلا هي تتلى فيه آناء الليل والنهار... فقالت دعني منك يا بن عباس، فوالذي نفسي بيده لوددت أي كنت نسيا منسيا" وكانت وفاتها - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من شهر رمضان ودفنت من ليلها بعد صلاة الوتر، وهي يومئذ بنت ست وستين سنة. وصلى عليها أبو هريرة - رضي الله عنه - فاجتمع الناس ونزل أهل العوالي، فلم تر ليلة أكثر ناسا منها، ونزل في قبرها "عروة بن الزبير" والقاسم بن محمد بن أبي

بكر" وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر" وعبد الرحمان بن عبد الرحمان ودفنت بالبقيع - رضي الله عنها وأرضاها -، وأكرم في الجنة نزلها ومتواها<sup>[١]</sup>.

## المبحث الثاني: نوع الفتن التي عاشوها

ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين التقوا بسيفهم وعاشوا ففتنين، فتنة الجمل "المطلب الأول" وفتنة صفين "المطلب الثاني"

### المطلب الأول: فتنة الجمل

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلي استأذن طلحة والزبير - رضي الله عنهما - علي - رضي الله عنه - في الخروج إلى مكة: فقال لهما علي: لعلكما تريدان البصرة والشام: فأقسما ألا يفعلا، وكانت عائشة بمكة. وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة، ويعلى بن أمية عامل عثمان إلى اليمن فاجتمعوا بمكة كلهم، ومعهم مروان بن الحكم، واجتمعت بنو أمية وحرصوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمئة ألف درهم. وأعطى لعائشة جملا اشتراه باليمن بمائتي دينار، فسارت عائشة إلى البصرة مخالفة على علي ومعها طلحة

[١] ينظر: مستدرك الحاكم، ٣/٣٧٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٠٢

والزبير في خلق عظيم. وممر القوم في الليل بقاء يقال له: مر الحوآب فنبحتهم كلابه فقالت عائشة: ما هذا الماء؟ قال بعضهم: ماء الحوآب، قالت إنا لله وإنا إليه راجعون! ردوني، ردوني! هذا الماء الذي قال لي رسول الله: لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوآب وخرج علي إلى الكوفة وتعسكر الفريقان والتقوا في موضع يقال الخريبة في جمادى الأولى سنة ٣٦ هجرية. وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة: ما تطلبون قالوا: نطلب دم عثمان قال: قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق. والتقى علي والزبير فقال له علي: أتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم إنك تقاتلني؟ فتركه ورجع. وراجعته ولده، فلم يقبل.

وقد اتجه علي بعد رجوع الزبير إلى طلحة بن عبيد الله، فناداه يا أبا محمد: ما الذي أخرجك: قال: الطلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، ثم قال: أنت أول من بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل: ﴿بِمَسْ نَكَّثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ سورة الفتح، الآية ١٠، فقال طلحة: استغفر الله ثم رجع، وقد قيل إنه قد جرحه عبد الملك في وجهه بعد رجوعه، ورماه مروان بن الحكم فقتله، فجاء كعب ابن سور قاضي البصرة إلى أم المؤمنين وقال لها أدركي الناس،

قد أبى القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك" [١].

فركبت بعد أن ألبسوا هودجها الأذراع ثم سارت ووقفت بحيث تسمع ضوضاء القتال، أما الزبير فإنه ترك القوم يقتتلون ورجع فتابعه رجل يعرف بابن جرموز، وقتله غدرا وهو يصلي بوادي السباع، ولم يقاتل جيش البصرة إلا قليلا ثم هزم فمروا في هزيمتهم على أم المؤمنين راكبة هودجها فأطافوا بجملها وقالت لكعب بن سور: تقدم إلى هؤلاء القوم بالمصحف وادعهم إلى كتاب الله فرماه بعض السبئية بسهم قتله، ورموا هودج أم المؤمنين بالنبل فجعلت تنادي البقية يا بني، الله اذكروا الله والحساب ولا يابون إلا إقداما فحرضت جيش البصرة على القتال حينما رأت أهل الكوفة يريدون هودجها، وهنا كانت حميتهم العظمى لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هنا محيص عن القتال لأنه كالسيل إذا أتى لا يرد وأمسك بخطام الجمل كثير من أرباب الشجاعة من قريش وغيرهم، فقتل دونه نحو السبعين من قريش وعدد عظيم من غيرهم، ومن قتل دونه محمد بن طلحة وعبد الرحمان بن عتاب بن أسيد واشتد أهل الكوفة على الجمل لأنهم رأوا أن البصريين لا ينهزمون مادام واقفا فرماه كثير منهم، وكل من رماه قتل، فلما رأى

[١] - العواصم من القواصم لابن العربي، ص ١٤٧-١٥٠.

علي شدة الأمر وكثرة القتلى من المسلمين قال اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا عنه، والذي دعاه إلى هذا الأمر الحذر على أم المؤمنين أن تصاب من كثرة النبل الذي سدد لهودجها، فقطعوا ساق الجمل، ثم اجتمع القعقاع بن عمرو وزفر بن الحارث على قطع بطان الجمل وحمل الهودج، وإنه مثل القنفذ من كثرة السهام وعند ذلك انهزم أهل البصرة فنادى علي على ألا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا دورا، وأمر بحمل الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليه قبة، وقال: أنظر هل وصل إليها شيء من جراحة، فوجدها بحمد الله سليمة لم تصب بشيء، ثم جاء علي فقال كيف أنت يا أمه. قالت: بخير يغفر الله لك قال: ولك، وظهرت آثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث الجلل الذي لم يكن فيه مآرب وكذلك على السيدة أم المؤمنين فإنها كانت تود الصلح، ولم يجر ما جرى إلا رغما عن الجميع، وقد دامت هذه الحرب حوالي أربع ساعات من النهار فروى بعضهم أنه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفا<sup>[١]</sup> وقد أمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن تنزل أم المؤمنين في دار خلف بن عثمان بن عبد الدار، وأذن في دفن

[١] - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، للخضري محمد، ص: ١٨٢



القتلى ثم أطف عليهم، فلما رأى كعب ابن سور قال: زعمتم أنه خرج معهم السفهاء وهذا قد ترون، ولما أتى على طلحة قال: لهفي عليك أبا محمد إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشا صرعى، وأنت والله كما قال الشاعر :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذ ما هو استغنى ويبعده الفقر  
وصلى على القتلى من أهل البصرة وأهل الكوفة، وبعث ما كان في  
العسكر من الأسلاب إلى مسجد البصرة، وقال من عرف شيئا  
فليأخذه إلا سلاحا في الخزائن، عليه سمة السلطان، ثم دخل على  
البصرة، فبايعه أهلها، وولى عليها عبد الله بن عباس وجعل على  
الخراج زياد ابن أبي سفيان، ثم بلغه أن رجلا قال: حزنت عنا أمنا  
عقوقنا وقال الآخر: يا أمي توبي، فأمر بكل منهما أن يجلد مائة جلدة،  
ثم جهز على أم المؤمنين وسيرها إلى المدينة واختار معها أربعين امرأة  
من نساء البصرة المعرفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما  
كان اليوم الذي ارتحلت فيه اجتمع الناس إليها فقالت: يا بني لا يعتب  
بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما  
يكون بين المرأة وبين أمهاتها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار، فقال علي:  
صدقت والله ما بيني وبينها إلا ذلك، وإنا لزوجة نبيكم في الدنيا

والآخرة، وخرجت يوم السبت غرة رجب من السنة السادسة والثلاثين فتوجهت إلى مكة فحجت ثم رجعت إلى المدينة، وكانت عائشة -رضي الله عنها- فيما يروي المؤرخون والمحدثون، أشد المغلوبين حسرة وأعظمهم ندما، وكانت تتلو ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ إلى آخر الآية، سورة الأحزاب، الآية ٣٣، ثم تبكي حتى يبتل خمارها. وكانت تقول: وددت لو أنني مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما. وكانت تقول بعد رجوعها إلى الحجاز: والله إن قعودي عن يوم الجمل لأحب إلى لو أتيح لي من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أشد الناس حسرة وأعظمهم أسى بين الغالبيين علي نفسه، فقد كان يقول:

لو عرفت أن الأمر يبلغ بنا ما بلغ لما دخلت فيه وكان يقول:

أشكو إليك عجري وبجري شفيت نفسي- وقتلت معشري<sup>[١]</sup>  
 وكان يقول: وددت لو أنني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، كما كانت تقول عائشة - رضي الله عنها - ويقول الشيخ الخضري رحمه الله، معلقا على ما وقع في معركة الجمل "لا يمكننا أن نبرر عمل الفريقين المتحاربين من كل الوجوه.

[١] - الفتنة الكبرى "علي وبنوه" لطف حسين ص ٥٤-٥٥ .

فإن طلحة والزبير وعائشة، خرجوا كما يقولون - للمطالبة بدم عثمان الذي سفك حراما من غير ترة ولا ذنب يوجب ذلك ولا نرى كيف فهموا أن ذلك ممكن من غير أن يكون للمسلمين رئيس يرجع إليه الأمر، في تحقيق هذه القضية الخطيرة، التي تناط بالاعتداء على رئيس الدولة التي اختارته بكامل حريتها وإرادتها.

إن إعطاء الحق للأفراد في أن يتجمعوا لإقامة حد قصر رئيس الدولة في إقامته أو بالهواذة فيه، مفسدة للنظام الذي أسس عليه الإسلام. ولكن الفتن إذا أقبلت تشابهت، وإذا أدبرت تباينت، ولم يكن عند علي من الأناة ما يمكنه من المصابرة حتى يلتئم هذا الصدع أحسن مما كان. حقيقة أن هؤلاء الشياطين الذين لا يريدون بالأمة خيرا، أعجلوه وأنشبوا الحرب حتى اشتبه عليه الأمر، وعلى أصحاب الجمل" [١]

ويقول أبو بكر بن العربي في هذا الصدد أيضا: "ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين وضم نشرهم، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتلوا. وهذا هو الصحيح، لا شيء سواه. وبذلك وردت صحاح الأخبار" [٢].

[١] - عصر الخلفاء الراشدين لعبد الحميد بنخيث، ص: ٢٤٠

[٢] - العواصم من القواصم لابن العربي، ص: ١٥١

## المطلب الثاني: فتنة صفيين

ورجع علي إلى الكوفة التي جعلها مقر خلافته فأرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بالشام يدعو إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة، فامتنع حتى تقتل قتلة عثمان، حيث كانوا، ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماما، لأنه رأى أن بيعة علي لم تنعقد لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد في الآفاق ولا تتم البيعة إلا باتفاقهم، ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم أو من القليل منهم، فجعل -رضي الله عنه - القصاص من قتلة عثمان أول واجب على المسلمين والذي يطالب به وليه، ثم اختيار الإمام أمر ثان.

أما علي - رضي الله عنه - فكان يرى أن بيعته قد تمت ولزمت من تأخر عنها، باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الأمر في القصاص من قتلة عثمان إلى اجتماع الناس، واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ الأمر في القصاص من قتلة عثمان إلى اجتماع الناس، واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل وبذلك عد من لم يبايعه خارجا عليه يحل له قتاله.  
ولم يكن معاوية يتهم عليا - رضي الله عنهما - بالممالة على

عثمان - رضي الله عنه - حاشا لله بل كان يظن فيه الهوادة عن نصره عثمان من قاتليه، ولقد كان إذا وجه ملامته إنما كان يظن يوجهها عليه في سكوته فقط<sup>[١]</sup> وأمام تعنت معاوية خرج علي فعسكر بالنخيلة، خارج الكوفة، فقدم عليه عبد الله بن عباس في جموع أهل البصرة، وأخذ يتجهز لحرب معاوية، فقام بعقد مؤتمر، ودعا ذوي الرأي لمناقشة الموقف، فأشار عليه قوم بأن يقيم ويبعث الجنود، وأشار آخرون بالمسير، فأبي علي إلا أن يباشر القتال بنفسه، فجهز الناس ثم بعث زياد بن النظر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، وبعث معه شريح بن هانئ في أربعة آلاف وخرج علي من النخيلة بمن معه، فلما دخل المدائن انظم إليه من فيها من المقاتلة والجنود، وولى على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، ومن المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ طريق الموصل حتى يواسيه. فلما انتهى على الرقة أمر بإقامة جسر على الفرات ليعبر إلى الشط الغربي حيث الشام، فأقام أهل المنطقة جسرا بعد تهديد مالك الأشتر لهم لامتناعهم في أول الأمر، ثم عبر علي والجيش بجميع توابعه وعتاده، ووقف الأشتر يرقب حركة العبور، حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر إلى الشام، ثم عبر هو

[١] - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء لمحمد الخضري، ص: ١٨٣

الآخر، وتكاثرت الخيل حتى زحم بعضها بعضا.

يقول المسعودي: "وسار معاوية من الشام، وقد تنوزع في مقدار من كان معه فمكثر ومقلل، والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا فسبق عليا إلى صفين" وعسكر في سهل أفيح، اختاره قبل قدوم علي، على شريعة لم يكن على الفرات أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها مواضع إلى الماء وعرة وكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفا، وكان على مقدمته... أما علي وجيشه فقد باتوا عطشا، قد حيل بينهم وبين الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إن عليا ليموت عطشا هو وتسعين ألفا من أهل العراق، وسيوفهم عن عواتقهم، ولكن دعهم يشربون ونشرب، فقال معاوية: لا والله أو يموتوا عطشا، كما مات عثمان<sup>[١]</sup> وعلي يدور في عسكره بالليل فسمع قائلا يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات      وفينا الرماح وفينا الجحف  
 وفينا علي له صولة      إذا خوفوه الردى لم يخف  
 ونحن غداة لقينا الزبير      وطلحة خضنا غمار التلف  
 فما بالناس أمس أسد العرين      وما بالناس اليوم شاة التجف

[١] - عصر الخلفاء الراشدين لعبد الحميد بخيث، ص: ٢٤٩ - ٢٥٠

وقال في فسطاط الأشعت بن قيس وقعة بهذا المعنى، فأتى عليا وأخبره، فقال له:

أخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقي لأصحابك أو تموتوا عن آخركم، وأنا أسير في خيل ورجالة وراءك، فسار الأشعت وهو يرتجز:

لأوردن خيـلي الفـراتـا شـعت النواصي أو يقال ماتا  
ثم دعا الأشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة، فصار  
يؤم الأشعت صاحب رايته، وهو رجل من النخع. ثم سار علي وراء  
الأشتر بباقي الجيش، ومضى الأشتر حتى هجم على عسكر معاوية،  
فأزال أبا الأعور عن الشريعة، وغرق منهم عدد كثير من الرجال  
والخيل، واضطر معاوية إلى الارتحال عن الموضع الذي كان فيه  
معاوية وجنده، وعطش أصحاب معاوية لبعدهم عن الماء، فأذن لكل  
طالب ماء أن يرد ويأخذ حاجته، ثم أرسل إلى معاوية، وطلب إليه  
الدخول فيما دخل فيه الناس والإقرار له بالبيعة، وتوحيد الكلمة  
وحقن الدماء، ولكن المراسلات بينهما طالت حتى بلغت أكثر من  
شهر، إذ بدأت أواخر ذي الحجة من سنة ٣٦ هـ إلى نهاية شهر المحرم  
من سنة ٣٧ هـ ولكن لم تؤد المفاوضات إلى نتيجة.

وفي آخر يوم من المحرم سنة ٣٧ هـ بعث علي إلى أهل الشام: "إني احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه، وإني قد نبذت إليكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فلم يردوا عليه جوابا إلا: السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا وفي غزوة بدر صفر سنة ٣٧ هـ أصبح القوم جميعا على أهبة الاستعداد، فتصاف أهل الشام وأهل العراق، واشتبك الفريقان في قتال مرير، ظل طوال اليوم، ثم أسفر آخر النهار عن آلاف القتلى والجرحى. وذكر الهيثم بن عدي الطائي وغيره، فذكروا أن جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون ألفا، ومن أهل الشام خمسة وأربعون، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا، فيهم خمسة وعشرون بدريا، وإن العدد كان يقع بالإحصاء للقتلى في كل رقعة وتحصيل ذلك يتفاوت، لأن في قتلى الفريقين من يعرف، ومن لا يعرف، وفيهم من غرق، وفيهم من قتل في البر، فأكلته السباع، فلم يدركهم الإحصاء وغير ذلك مما يعسر"<sup>[١]</sup>.

وفي يوم الخميس - وهو اليوم الثاني من القتال - اشترك القوم في عراك جبار كان أشد عنفا من اليوم السابق، وهكذا ظلت تلك المعركة الصاخبة ما يقرب من عشرة أيام متتالية، حتى كان اليوم

[١] - عصر الخلفاء الراشدين لعبد الحميد بخيث، ص: ٢٥٩.



العاشر من صفر سنة ٣٧هـ، وتفاقم أمر المعركة وتهاوت الرؤوس والجلث، واشتد الخطب على الفريقين، وازداد في أهل الشام القتل حتى أصبحت هزيمتهم قاب قوسين أو أدنى، فعند ذلك رأى معاوية أن يضع حدا لهذا الشجار، فاجتمع بعمرو بن العاص وطلب منه الرأي حتى يمكن الإبقاء على البقية من أبطال الإسلام، الذين هزموا فارس والروم بالأمس القريب.

فأشار عمرو بطلب التحكيم، فأصدر معاوية أمرا إلى جميع كبار المسلمين من شيعته بأن كل من يحمل مصحفا، فليرفعه على رحبه، فكثر في الجيش رفع المصاحف، وارتفعت الضجة ونادوا "كتاب الله بينا وبينكم" من لثغور الشام، بعد أهل الشام، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق، ومن لجهاد الروم، ومن للترك، ومن للكفار، ورفع في معسكر معاوية نحو خمسمائة مصحف.

وهنا لم يكن بد من الاستجابة لهذه الدعوة التي أشار بها عمرو بن العاص، فلما رأى أهل العراق ذلك، قالوا نجيب إلى كتاب الله، ولكن عليا أفهمهم أنها خديعة وأنهم فعلوا ذلك إلا بعد أن عضتهم الحرب. ولكن أهل العراق كانوا قد يئسوا من طول القتال، ثم رأوا في عدم الاستجابة للدعوة إلى كتاب الله، لونا من الاستهانة بذلك

الكتاب، الذي يعتبر دستور دينهم وسلوكهم، ولهذا طلبوا إلى علي أن يوافق على التحكيم، فأعلن موافقته وقف القتال فوراً ريثما تبحث القضية وتدرس في أناة ومكث وبواسطة هيئة قضائية تختار لهذا الغرض.

فقام الطرفان المتنازعان بإصدار وثيقة هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي على أهل الكوفة، ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين. إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه. ولا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته: نحبي ما أحيأ ونميت ما أمات.

فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل وهما - أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص القرشي - عملاً به، وما لم يجد في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من اليهود والميثاق والثقة من الناس، أنهما آمان على أنفسهما وأهلها. والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين، كليهما عهد الله وميثاقه أنا على ما في هذه الصحيفة، وإن

قد وجبت قضيتهما على المؤمنين فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وشاهدتهم وغائبهم. أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص: عهد الله وميثاقه أن يألوا من أهل المعدلة والقسط، وإن كان مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام. وإن رضيا واجبا، فلا يحضرهما فيه إلا من أراد. ويأخذ الحكمان من أراد من الشهود، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصار من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحادا وظلما. اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة»<sup>[١]</sup>.

وعند حلول شهر رمضان وجه علي بعبد الله بن عباس في أربعمئة من أصحابه ونفذ معاوية أربعمئة من أصحابه، واجتمعوا بدومة الجندل<sup>[٢]</sup> في شهر ربيع الأول سنة ٣٨ فخدع عمرو بن العاص أبا موسى، وذكر له معاوية فقال: هو ولي ثار عثمان وله شرفة في قريش، فلم يجد عنده ما يجب، قال فابن عبد الله؟ قال ليس بموضع لذلك. قال: فعبد الله بن عمر؟ قال: إذا يحيي سنة عمر، الآن حيث به، فقال:

[١] - عصر الخلفاء الراشدين لعبد الحميد بنخيث، ص: ٢٥١

[٢] - الجندل وهو المكان العدل بين الكوفة والشام.

فاخلع عليا وأخلع أنا معاوية ويختار المسلمون، وقدم عمرو أبا موسى إلى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام إلى أبي موسى الأشعري، فدنا منه، فقال: إن كان عمرو فارقك على شيء، فقدمه قبلك فإن غدر، فقال: لا، قد اتفقنا على أمر، فصعد المنبر، فخلع عليا، ثم صعد عمرو بن العاص فقال: قد ثبتت معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي، فصاح به أبو موسى: غدرت يا منافق، إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا. تنادي الناس: حكم والله الحكمان بغير ما في الكتاب، والشرط عليهما غير هذا، وتضارب القوم بالسياط، وأخذ قوم بشعور بعض، وافترق الناس ونادت الخوارج: كفر الحكمان، لا حكم إلا لله، ثم بعد ذلك انصرف أبو موسى إلى مكة ورجع عمرو إلى الشام حيث سلم بإمارة المؤمنين على معاوية، في حين توجه علي إلى الكوفة ولما دخل على الكوفة، حدثت حركة انفصالية خطيرة، وهي مسألة الخوارج، إذ يروى أنه فوجئ بالناس بعد ذلك قائلين: "جزعنا من البلية ورضينا بالقضية، وقبلت الدنية، ولا حكم إلا لله، فيقول لهم: حكم الله انتظر فيكم، فيقولون: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة الزمر، الآية: ٦٥. فيقول علي: فاصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفك

الذين لا يوقنون. وهكذا فتح باب الجدل والفتنة، وانشق أصحاب علي عليه حتى لجأ أخيراً إلى محاربتهم، إلى أن قضى نحبه بأيدي هؤلاء الذين كانوا بالأمس ينصرونه ويقاتلون عدوه.

### المبحث الثالث:

## الأمر الاجتهادية وموقف الشرع منها

### المطلب الأول: تعريف الاجتهاد وشروط المجتهد

#### الفرع الأول: تعريف الاجتهاد في اللغة والاصطلاح

الاجتهاد في اللغة: مأخوذ من الجهد وهو المشقة والطاقة، فيختص بما فيه مشقة ليخرج عنه ما لا مشقة فيه<sup>[١]</sup>.

وفي اصطلاح علماء الأصول: هو بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام العلمية من أدلتها التفصيلية. ويعرف بعض العلماء الاجتهاد في اصطلاح الأصوليين، بأنه استفراغ الجهد، وبذل غاية الوسع، إما في استنباط الأحكام الشرعية وإما في تطبيقها<sup>[٢]</sup>.

[١] - لسان العرب لابن منظور، مادة: جهد ص: ١٣٥

[٢] - أصول الفقه لأبي زهرة، ص: ٣٠١

وقال الآمدي: "هو في الاصطلاح -أي الاجتهاد- استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحسن من النفس العجز عن المزيد عليه، وبهذا القيد خرج اجتهاد المقصر فإنه لا يعد في الاصطلاح اجتهادا معتبرا، وإذا عرفت هذا، فالمجتهد هو الفقيه المستفراغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي<sup>[١]</sup>.

### الفرع الثاني: شروط المجتهد

من شروط المجتهد أن يكون بالغاً عاقلاً قد ثبتت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مأخذها، وأن يتمكن من ذلك بشروط<sup>[٢]</sup>.

وأول هذه الشروط، أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة، فإن قصر في أحدهما لم يكن مجتهداً ولا يجوز له الاجتهاد، ولا يشترط معرفته لجميع الكتاب والسنة. بل بما يتعلق منها بالأحكام.

وثانيها، أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع حتى لا يفتى بخلاف ما وقع الإجماع عليه، إن كان من يقول بحجية الإجماع، ويرى أنه دليل شرعي وقل أن يلتبس على من بلغ رتبة الاجتهاد ما وقع عليه الإجماع

[١] - إرشاد الفحول للشوكاني، ص: ٢٥٠

[٢] - المصدر نفسه ص: ٢٥٠

من المسائل.

**وثالثها:** أن يعرف وجوه القياس، وذلك بأن يعرف العلل والحكم التشريعية التي شرعت من أجلها الأحكام، ويعرف المسالك التي مهدها الشارع لمعرفة علة أحكامه، ويكون خبيراً بوقائع أحوال الناس ومعاملتهم حتى يعرف ما تتحقق فيه علة الحكم من الوقائع التي لا نص فيها، ويكون خبيراً أيضاً بمصالح الناس وعرفهم، وما يكون ذريعة إلى الخير والشر فيهم، حتى إذا لم يجد في القياس سبيلاً إلى معرفة حكم الواقعة، سلك سبيلاً آخر من السبل التي مهدتها الشريعة الإسلامية للوصول إلى استنباط الحكم فيما لا نص فيه.

**ورابعها:** أن يكون عالماً باللغة العربية: لقد اتفق علماء الأصول على ضرورة أن يكون عالماً باللغة العربية، لأن القرآن الذي نزل بهذه الشريعة عربي، ولأن السنة التي هي بيانه جاءت بلسان عربي، وقد حد الغزالي القدر الذي يجب معرفته من العربية فقال: "إنه القدر الذي يفهم به خطاب العرب، وعاداتهم في الاستعمال حتى يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته وفحواه، ولحنه ومفهومه وهذا لا يحصل إلا لمن بلغ في اللغة درجة الاجتهاد"<sup>[١]</sup>.

[١] - أصول الفقه لأبي زهرة، ص: ٣٠٢.

**خامسها:** أن يكون عارفا بالناسخ والمنسوخ، بحيث لا يخفى عليه شيء من ذلك مخافة أن يقع في الحكم بالمنسوخ، وقد اختلفوا في اشتراط العلم بالدليل العقلي فشرطه جماعة منهم الغزالي والفخر الرازي، ولم يشترطه الآخرون، وهو الحق لأن الاجتهاد إنما يدور على الأدلة الشرعية لا على الأدلة العقلية، ومن جعل العقل حاكما فهو لا يجعل ما حكم به داخلا في مسائل الاجتهاد، فإذا توفرت هذه الشروط لدى المجتهد، فإنه ينبغي عليه أن يطرح السؤال: ما هي الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد، والأمور التي لا يسوغ فيها؟

### المطلب الثاني: الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد

إن كانت الواقعة التي يراد معرفة حكمها قد دل على الحكم الشرعي فيها دليل صريح قطعي الورود والدلالة فلا مجال للاجتهاد فيها، والجواب أن ينفذ فيها ما دل عليه النص، لأنه ما دام قطعي الورود، فليس ثبوته وصدوره عن الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم موضع بذل جهد. ومادام قطعي الدلالة، فليست دلالاته على معناه واستفادة الحكم منه موضع بحث واجتهاد. وعلى هذا فأيات الأحكام المفسرة التي تدل على المراد منها دلالة واضحة، ولا تحتمل تأويلا يجب



تطبيقها، ولا مجال للاجتهاد في الوقائع التي تطبق فيها، ففي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ سورة النور، الآية ٢، لا مجال للاجتهاد في عدد الجلدات وكذلك في كل عقوبة أو كفارة مقدرة، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ سورة البقرة، الآية ٤٣، بعد أن فسرت السنة العملية المراد من الصلاة أو الزكاة، فلا مجال للاجتهاد في تعرف المراد من أحدهما، فما دام النص صريحا مفسرا بصيغته أو بما ألحقه الشارع به من تفسير وبيان، فلا مسأغ للاجتهاد فيما ورد فيه، ومثل هذه الآيات القرآنية المفسرة للسنن المتواترة المفسرة، كحديث الأموال الواجبة فيها الزكاة، ومقدار النصاب من كل مال منها ومقدار الواجب فيه.

ومختصر القول: إن طريقة أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا قول فلان، كما قال الإمام البخاري رحمه الله: "سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه الله، فأتاه رجل، فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال سبحان الله تراني في كنيسة، تراني في بيعة! ترى على وسط زنارا؟ أقول لك: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذا وكذا وأنت تقول: ما

تقول أنت؟ ونظائر ذلك في كلام السلف كثير<sup>[١]</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

وأما إذا كانت الواقعة التي يراد معرفة حكمها قد ورد نص قطعي الورود، والدلالة أو أحدهما ظني فقط، ففيها للاجتهاد مجال، لأن المجتهد عليه أن يبحث في الدليل الظني الورود من حيث سنده، وطريق وصوله إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرجة رواته من العدالة والضبط والثقة والصدق، وفي هذا يختلف تقدير المجتهدين للدليل. فمنهم من يطمئن إلى روايته ويأخذ به، ومنهم من لا يطمئن إلى روايته ولا يأخذ به، وهذا باب من الأبواب التي اختلف من أجلها المجتهدون في كثير من الأحكام العملية.

فإذا أده اجتهاده في سند الدليل إلى الاطمئنان لروايته، وصدق روايته، اجتهد في معرفة ما يدل عليه الدليل من الأحكام، وما يطبق فيه من الوقائع، لأن الدليل قد يدل ظاهره على معنى، ولكنه ليس هو

[١] - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن أبي العز، ص: ٣٤١

المراد، وقد يكون عاما، وقد يكون مطلقا، وقد يكون على صيغة الأمر أو النهي.

فالمجتهد يصل باجتهاده إلى معرفة أن الظاهر على ظاهره أو هو مؤول، وأن العام باق على عمومه أو هو مخصص وكذلك المطلق على إطلاقه أو هو مقيد، والأمر للإيجاب أو لغيره، والنهي للتحريم أو لغيره، وهاديه في اجتهاده القواعد الأصولية اللغوية، ومقاصد الشارع ومبادئه العامة، وسائل نصوصه التي بينت أحكاما، وبهذا يصل إلى أن النص يطبق في هذه الواقعة أو لا يطبق.

وكذلك إذا كانت الواقعة لا نص على حكمها أصلا، ففيها مجال متسع للاجتهاد لأن المجتهد يبحث ليصل إلى معرفة حكمها بواسطة القياس، أو الاستحسان أو الاستصحاب أو مراعاة العرف أو المصالح المرسلة.

### المطلب الثالث: موقف الشرع من الأمور الاجتهادية

من خلال ما سبق يتبين لنا أن مجال الاجتهاد أمران ما لا نص فيه أصلا، وما فيه نص غير قطعي، ولا مجال للاجتهاد فيما فيه نص قطعي، ويجب أن يعلم في هذا الصدد أن المجتهد مأجور إن أصاب فله أجران:

أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته الصواب، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده، كما هو معلوم، فإن الله سبحانه وتعالى ما ترك الناس سدى، بل شرع لكل فعل من أفعال المكلفين حكماً، ونصب لكل حكم دليل يدل عليه، وطلب من أهمل النظر في هذه الأدلة أن ينظروا فيها ليتهتدوا إلى حكمه، فمن توافرت فيه أهلية النظر فيها، واجتهد حتى وصل إلى الحكم الذي أداه إليه اجتهاده فهو مأجور على هذا الاجتهاد، وواجب عليه أن يعمل في قضائه وافتائه بما أداه إليه اجتهاده، لأن حكم الله حسب ظنه الراجح، والظن الراجح كاف في وجوب العمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"<sup>[١]</sup>، فالخطأ صفة لازمة لا ينجو منها أحد من البشر، ما عدا الأنبياء المعصومين عليهم الصلاة والسلام، وإن أهل السنة والجماعة يرون أن المجتهد المخطئ مأجور غير مأزور لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"<sup>[٢]</sup>.

[١] - سنن الترمذي رقم الحديث: ٢٤٩٩ وقال فيه: إسناده صحيح.

[٢] - صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا

وقال ابن تيمية رحمه الله: "... فأما الصديقون والشهداء والصالحون فليسوا بمعصومين، وهذا في الذنوب المحققة، وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون، وتارة يخطئون فإذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهداهم، وخطأهم مغفور لهم، وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلون فيهم ويقولون: إنهم معصومون تارة وتارة يجفون عنهم، ويقولون إنهم باغون بالخطأ، وأهل العلم والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون" [١].

ومن المعلوم أن الصحابة هم سادة الأمة وأئمتها وقادتها، فهم سادات المفتين والعلماء، روي عن مجاهد أنه كان يقول: "العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" [٢]. ومع ذلك فقد كان تشريع بعض الأحكام يصدر عن رأي، وإن كان هذا قليلا، وكانوا ينسبون الرأي والفتوى إليهم لا إلى الشريعة، فلا يلزمون العمل به، ودليل ذلك أن أبا بكر كان يقول إذا اجتهد برأيه: "هذا رأيي فإن يكن صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني واستغفر الله" ولما كتب كاتب لعمر: هذا ما أرى الله عمر فانتهره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وقال:

[١] - مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٩/٣٥.

[٢] - أعلام الموقعين من رب العالمين لابن الجوزية الجزء الأول ص ١٤.

لا، بل اكتب: هذا ما رأى عمر، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر".

ولما كانت مدارك الصحابة ودرجاتهم في الفهم متفاوتة كان لا بد أن يقع الخلاف في بعض ما يصدر عن من رأي وفتوى، فكان لهذا السبب وغيره أثر في ظهور الاختلاف في تشريع بعض الأحكام.

فأما ما جرى بين علي وطلحة والزبير وعائشة - رضي الله عنهم - وإنما كان على تأويل واجتهاد، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم.

وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبرئ من كل من يتقص أحدا منهم، رضي الله عن جميعهم، حيث يقول الطبري رحمه الله في هذا الصدد: "وأما ما وقع بينهم من الحروب والفتن فتلك أمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور"<sup>[١]</sup>.

[١] - إرشاد الفحول للشوكاني، ص: ٦٩

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "فخطأ المجتهد في الإحسان إليهم بالدعاء والثناء عليهم والذب عنهم، خير من خطئه في الإساءة إليهم باللعن والذم والطعن. وما شجر بينهم غايته أن يكون ذنباً والذنوب مغفورة بأسباب متعددة هم أحق بها ممن بعدهم"<sup>[١]</sup>.

وأما ما ذهب إليه الخوارج في كون أن المخطئ في الرأي يعتبر مذنباً إذا أدى إلى مخالفة الشرع، أي إذا أدى إلى مخالفة وجه الصواب في نظرهم، ولذا كفروا علياً - رضي الله عنه - بالتحكيم، فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويعدونه مخلداً في النار، وحينئذ لا تنفعه شفاعة الشافعين، وقد رد على شبهتهم هاته كثير من أهل العلم، حيث يقول الشوكاني في إرشاد الفحول: "واعلم أن التكفير لمجتهد الإسلام بمجرد الخطأ في الاجتهاد في شيء من مسائل العقل عقبة كؤود لا يصعد إليها إلا من لا يبالي بدينه، ولا يحرص عليه لأنه مبني على شفا جرف هاد على ظلمات بعضها فوق بعض، وغالب القول به ناشئ عن الصبغة وبعضه ناشئ عن شبه واهية ليست من الحججة في شيء ولا يحل التمسك بها في أي أمر من أمور الدين فضلاً عن هذا الأمر الذي هو مزلّة الأقدام ومدحضة كثير من

[١] - منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ٢٠٠/١

علماء الإسلام" [١].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "... ومما يتعلق بهذا الباب، أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم الدين أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونا بالظن ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء المتقين. ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين:

طائفة تعظمه فتزيد تصويبه واتباعه عليه، وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان. وكلا هذين الطرفين فاسد، والخوارج والروافض وغيرهم من أهل الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه وولاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويجب من وجهه ويغضض من وجهه. هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم" [٢].

[١] - إرشاد الفحول للشوكاني، ص: ٢٦٠.

[٢] - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/٥٤٣-٥٤٤.



## الفصل الرابع:

# رد الشبه عن الصحابة الكرام

وقف لله تعالى

134

— القول الرصين فيمن لابس سنة الجمال وصفين

يجب أن يعلم أنه لم يسلم أحد من الكلام عليه، وإلقاء التهمة بين يديه، والله در من قال، ممن وقف على حقيقة الحال.

قيل إن الإله ذو ولد قيل إن الرسول قد كهنا  
 مانجا الله والرسول معا من لسان الورى فكيف أنا  
 ومع هذا لا يخفى على ذوي الأبواب أن مطاعن هؤلاء الفرق  
 الضالة أشبه شيء بنبح الكلاب، بل لعمرى لصيرير باب، أو طنين  
 ذباب:

وإذا أتت نقيصتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل  
 فإن مجرد نفور النافرين أو محبة الموافقين: لا يدل على صحة قول  
 ولا فساده إلا إذا كان ذلك بهدي من الله. بل الاستدلال بذلك  
 استدلال باتباع الهوى بغير هدى من الله، فإن اتباع الإنسان لما يهواه،  
 هو أخذ القول والفعل الذي يجبه ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا  
 هدى من الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ﴾ سورة الأنعام، الآية ١١٩.

وقال الله تعالى: "فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنها يتبعون أهواءهم،  
 ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله" سورة القصص، الآية  
 ٥٠. وقال الله تعالى لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ

﴿اللَّهُ﴾ سورة القصص، الآية ٢٦. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ سورة الأنعام، الآية ١٥٠.

فمن اتبع أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله، وبعد هدي الله الذي بينه لعباده، فهو بهذه المثابة. ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع والتفرق المخالفين للكتاب والسنة: أهل الأهواء حيث قبلوا ما أحبوه، وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدي من الله، ومن هؤلاء الشيعة والخوارج بالإضافة إلى المستشرقين باعتبارهم ورثة الفتنة.

## المبحث الأول: الحديث عن الشيعة ورد شبههم

### المطلب الأول: الشيعة: تعريفهم وزمان وموطن نشأتهم

الشيعة في اللغة: القوم الذين يجتمعون على أمر، وكل موقف اجتمعوا عليه فهم شيعة. وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع<sup>[١]</sup>.

أما الشيعة بمفهومها السياسي: فهي من أقدم الفرق السياسية

[١] - لسان العرب لابن منظور، مادة: شيع، ص: ١٨٨

الإسلامية، وقد ذكرنا أنهم ظهروا بمذهبهم في آخر عصر "عثمان" - رضي الله عنه - ونما وترعرع في عهد علي - رضي الله عنه - إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا إعجابا بمواهبه، وقوة دينه وعلمه فاستغل الدعاة ذلك الإعجاب، وأخذوا ينشرون آراءهم فيه ما بين رأيي فيه مغالاة ورأيي فيه اعتدال. وقوام هذا المذهب هو ما ذكره "ابن خلدون" في مقدمته: "إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم فيها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها، وتفويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكن معصوما عن الكبائر والصغائر" [١].

ويتفق "الشيعة" على أن "علي بن أبي طالب" هو "الخليفة المختار" من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أفضل الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

وقد نشأت في مصر ابتداء في عهد "عثمان" إذ وجد الدعاة فيها أرضا خصبة، وعمت العراق، واتخذته لها مستقرا ومقاما، فإذا كانت "المدينة" و"مكة" وسائر "مدائن الحجاز" مهدا للسنة والحديث و

[١] - تاريخ المذاهب الفقهية لأبوزهرة، ص: ١٧١

"الشام" مهذا لنصرء الأمويين فقد كان العراق مقاما للشيعفة فعلي بن أبي طالب أقام به مدة خلافته وفيه التقى بالناس ورأوا فيه ما آثار تقديرهم، فالتفوا حوله ولم يعلنوا الولاء بقلوبهم لمعاوية، وبذلك بدأت بوادر المعارضة الشيعية للحكم الأموي، ففضى معاوية على هذه المعارضة أن تظهر ولكنه لم يقتلع جذورها من النفوس، ولما استقر الأمر "لبنى مروان" في عهد "عبد المالك بن مروان" فرماهم "بالحجاج" فاشتد في القمع وكلما اشتد قمعه، اشتد المذهب الشيعي في نفوس معتنقيه<sup>[١]</sup>.

ولم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل كان منهم الذين غالوا في تقدير علي وبنيه، ومنهم المعتدلون:

فأما الشيعة الغلاة المتطرفون فقد رفعوا عليا إلى مرتبة الألوهية وفهم من رفعه إلى مرتبة النبوة وجعلوه في منزلة أعلى من النبي صلى الله عليه وسلم، ولنذكر هؤلاء الغلاة الذين خرجوا بمغالاتهم عن الإسلام، وينكر الشيعة الحاضرون نسبتهم إلى الشيعة ونحن ننكر نسبتهم إلى الإسلام، ومن هؤلاء الشيعة السبئية وهم أتباع "عبد الله بن سبأ وكان يهوديا من أهل "الحيرة"، أظهر الإسلام وأمه سوداء،

[١] -تاريخ المذاهب الفقهية لأبوزهرة، ص: ١٧٣.

ولذلك يقال عنه "ابن السوداء"، وكان من أشد الدعاة ضد سيدنا "عثمان".

تدرج في نشر أفكاره ومفاسده بين المسلمين، وموضوعها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخذ ينشر بين الناس أنه وجد في "الثورة" أن لكل نبي وصيا، وأن عليا وصي محمد، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمدا خير الأنبياء، كما أن محمدا سيرجع إلى الحياة الدنيا، ويقول "عجبت لمن يقول برجعة المسيح ولا يقول برجعة محمد" ثم تدرج بهذا الحكم، بألوهية علي - رضي الله عنه - ولقد هم بقتله، إذ بلغه عنه ذلك، ولكن نهاه عبد الله بن عباس، وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العودة لقتال أهل الشام، فنفاه إلى المدائن.

وهناك أيضا الشيعة الغرابية، وهي فرقة من الغلاة كذلك، وهذه الفرقة لم تؤله عليا، كما فعلت السبئية ولكنها كانت تفضله على النبي صلى الله عليه وسلم، فزعموا أن الرسالة كانت لعلي - رضي الله عنه - ولكن جبريل أخطأ فنزل على محمد بدل أن ينزل على علي - رضي الله عنه - وسموا الغرابية لأنهم قالوا: إن علي يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما يشبه الغراب الغراب.

وأما الشيعة المعتدلة فهم أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالا بحيث أنهم لم يرفعوا الأئمة إلى مرتبة النبوة، بل لم يرفعوهم إلى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكفروا أحدا من أصحاب رسول الله عليه السلام، وخصوصا من بايعهم علي رضي الله عنه - واعترف بإمامتهم، ومن هؤلاء الشيعة الزيدية، وإمام هذه الفرقة زيد بن علي زين العابدين، وكانت له صلوات وثيقة بعلماء عصره، فقد اتصل به أبو حنيفة، وأخذ عنه وكان فقيها متكلمًا وله في الفقه كتاب المجموع. وقد خرج على هشام بن عبد المالك بالكوفة، فتمت المواجهة في الكوفة بين زيد وأتباعه وهشام وجيوشه فانهى الأمر بقتله وتصلبيه.

- أما الشيعة الإمامية الاثنا عشرية فيدخل في عمومها أكثر مذاهب الشيعة القائمة الآن في العالم الإسلامي في إيران والعراق وما وراءها من باكستان، ومنهم من يثبتون في بقاع من سوريا ولبنان وكثير من البلاد الإسلامية.

وقد اتفق الإمامية الاثني عشرية على أن عليا وصي النبي صلى الله عليه وسلم، بالنص وقرروا أن الأوصياء من بعد علي هم أولاده من



فاطمة: الحسن والحسين رضي الله عنهما، ثم لعلي زين العابدين، ومن بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق ابن محمد الباقر، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلي الرضا، ثم لمحمد الجواد، ثم لعلي الهادي، ثم للحسن العسكري، ثم لمحمد ابنه، وهو الإمام الثاني عشر<sup>[١]</sup>

ولقد أعلن الشيعة الإمامية الاثني عشرية عداؤهم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطعن والتكفير وقد سُمّوا كذلك بالرافضة لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما، وكانوا يروّون أحقية الخلافة لعلي رضي الله عنه، لذلك يسبون الصحابة على منابرهم. والله عز وجل عدّهم من فوق سبع سموات<sup>[٢]</sup>، كما تقوم هذه الطائفة بإخفاء اعتقاداتها عن طريق استعمال أداة النفاق عندهم وهي التقية، وإن أعمالها لا تدخل في الإسلام على انحراف شديد وإنما مستمدة من الديانات السابقة المحرفة.

<sup>[١]</sup> غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام اليهودية، المسيحية، الماجوسية،

عبد الفتاح دويدار، ص: ٤٨-٥٠

<sup>[٢]</sup> الملل والنحل للشهرستاني، ١/١٦٤

## المطلب الثاني: الرد على شبه الشيعة

### - الشبهة الأولى:

إن عثمان وهب لأهل بيته وأقاربه شيئاً كثيراً من المال وصرف من بيت المال مصارف كثيرة في غير محلها مما يدل على إسرافه، وبالتالي إتلافه لحقوق المسلمين لذا وجب قتله.

### جوابه:

إن سيدنا عثمان - رضي الله عنه - كان يبذل ذلك من ماله الخاص لا من بيت المال، فإنه كان من الممولين قبل أن يكون خليفة، وقد بينا ذلك في ترجمته - رضي الله عنه - حيث أنه اشترى بئر رومة من ماله الخاص ووسع رقعة المسجد وجهز جيش العسرة وكان يعتق في كل جمعة رقبة، ويضيف المهاجرين والأنصار، ويطعمهم في كل يوم، وقد روي عن الإمام الحسن البصري أنه قال: "إنني شهدت منادي عثمان ينادي "يا أيها الناس اغدوا على أعطيائكم" فيغدون فيأخذونها وافرة "يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم" فيغدون فيأخذونها وافية حتى والله لقد سمعته أذاني يقول "اغدوا على كسوتكم" فيأخذون الحلل"<sup>[١]</sup>.

[١] - مختصر التحفة الإثني عشرية للألوسي ص: ٢٦٢

نعم، لم يشك عثمان - رضي الله عنه - أنه لم يخالف عن السنة الموروثة، وإنما جرى على طبعه السخي من جهة ووسع على المسلمين من جهة أخرى، ووصل أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام من جهة ثالثة، وليس في شيء من ذلك مأثم وإنما هو الخير والبر والمعروف، حيث يقول عبد الحميد بخيث في هذا الصدد: " فالرجل - أي عثمان رضي الله عنه - كما تحدث إلى السبئية بمشهد من الصحابة لم ينحرف عن سنة رسول الله والشيخين من بعده، ولم يقترف ما ينافي الشورى، وإقامة العدل والكفاية في الدولة الإسلامية الاشتراكية النزعة.

كذلك لم يستحل عثمان كما أكد - فلما فأكثر من مال المسلمين لنفسه أو لأقاربه، ولم يعزل عاملا إلا بعد تحقيق وبينه، ولم يول إلا "مجتمعا محتملا مرضيا"، فهو إذن لم يركب بني محيط والحكم رقاب الناس ولم يعط الزبير ولا طلحة ولا مروان، ولا الحارث ابن الحكم زوج ابنته "فلما فأكثر" غير حقه المفروض له في نظام الدولة"<sup>[١]</sup>.

وأخيرا نرى أن عثمان - رضي الله عنه - لم يقترف من الأخطاء ما يمس السياسة الشورية الديمقراطية أو شريعة العدل والكفاية في

[١] - عصر الخلفاء الراشدين لعبد الحميد بخيث ص: ٢١٥

توزيع الحقوق والواجبات، ولم يكن ضعيفا أو متهاونا في شيء من مسؤولياته كلها، وقد قرر ذلك على مرأى ومسمع من جميع الصحابة ورجال الأمة، فأكدوا تأمينهم على كل حرف من ذلك، وماذا بعد الحق إلا الضلال!

### - الشبهة الثانية:

إن عائشة خرجت من المدينة إلى مكة ومنها إلى البصرة ومعها ما يزيد على ستة عشر ألف رجل من العسكر، وقد قال تعالى في الأزواج المطهرات: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ سورة الأحزاب، الآية ٣٣. فأمرهن بالسكون في البيوت ونهاهن عن الخروج من بيوتهن.

### جوابه:

إن عائشة - رضي الله عنها - لم تبرز تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج أو خرجت مع زوجها في سفر، فالمراد من هذا الأمر والنهي تأكيد التستر والحجاب بأن لا يدرن ولا يتسكعن في الطرق والأسواق كنساء العوام، ولا منافاة بين السفر وبين التستر والحجاب، ألا ترى أن المخمرات من نساء الأمراء والملوك يخرجن من بلد إلى بلد

ومعهن جمع من الخدم والأتباع، ولا سيما إذا كان ذلك السفر متضمنا لمصلحة دينية ودنيوية كالجهد والحج والعمرة، وسفر أم المؤمنين كان من هذا القبيل، لأنها خرجت لإصلاح ذات البين وأخذ القصاص من قتلة عثمان - رضي الله عنه - المقتول ظلما وعدوانا وذلك لا يعد تبرجا.

بالإضافة إلى أنها كانت إلى جانب محارمها حيث يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "ولم يكن طلحة والزبير ولا غيرهما من الأجانب يحملونها بل كان في العسكر من محرّمها مثل عبد الله بن الزبير بن أختها وخلوته بها ومسه لها جائز بالكتاب والسنة والإجماع وكذلك سفر المرأة مع ذي محرّم بالكتاب والسنة والإجماع وهي لم تسافر إلا مع ذي محرّمها"<sup>[١]</sup>.

### - الشبهة الثالثة:

إن عائشة وطلحة والزبير قد كفروا حينما قاتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ظلما وعدوانا.

### جوابه:

إن عائشة - رضي الله عنها - لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما

[١] - طبقات ابن سعد ٣/١٦٠

خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها.

فقد ذكر الألويسي أنه لما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي - رضي الله عنه - فوقف على الباب وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت: "يا بني لا يغتب بعضكم بعضا، إنه والله ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في القديم والحديث إلا ما يكون بين المرأة وأحماتها، وإنه لمن الأخيار" فقال علي رضي الله عنه "صدقت، والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة" وسار معها مودعا أميالا، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكانت رضي الله تعالى عنها بعد ذلك إذا ذكرت ما وقع منها تبكي حتى تبل خمارها، فإن في بكائها وندمها هذا دليل على أنها لم تذهب إلى ربه إلا وهي نقية من غبار تلك المعركة، على أن في كلامها ما يدل على أنها كانت حسنة النية في ذلك، وقال غير واحد إنها اجتهدت ولكنها أخطأت في الاجتهاد ولا إثم على المجتهد المخطئ بل له أجر على اجتهاده وكونها رضي الله تعالى عنها من أهل الاجتهاد مما لا ريب فيه.

وكذلك عامة المسلمين السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فقد روى الحكم عن ثور بن مجزأة أنه قال: مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: من أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، فقال: أبسط يدك أبايعك، فبسطت يدي فبايعني وقال هذه بيعة لعلي، وفاضت نفسه. فأتيت عليا - رضي الله عنه - فأخبرته فقال: الله أكبر صدق الله تعالى ورسوله عليه السلام، أباي الله سبحانه أن يدخل طلحة الجنة إلا وييعتي في عنقه.

وأما الزبير - رضي الله عنه - فقد ناداه علي - رضي الله عنه - وخلا به وذكره قول النبي صلى الله عليه وسلم له: لتقاتلن عليا وأنت له ظالم، فقال: لقد أذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر لا جرم لأفاتلك أبدأ، فخرج من العسكرين نادماً وقتل بوادي السباع مظلوماً على يد عمرو بن جرموز<sup>[١]</sup>.

وقال ابن سعد في الطبقات: "أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا أبا بن عبد الله البجلي قال حدثني نعيم بن أبي هند قال حدثني ربعي بن حراش قال: إني لعند علي جالس إذ جاء ابن طلحة فسلم على علي

[١] - مختصر التحفة الإثني عشرية للألوسي، ص: ٢٧٧

فرحب به علي، فقال: ترحب بي يا أمير المؤمنين وقد قتلت والدي وأخذت مالي؟ قال: أما مالك فهو معزول في بيت المال فاغد إلى مالك فخذ. وأما قولك قتلت أبي، فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ لِّخُونًا عَلَيَّ سُرَّرٍّ مُّتَقَبِّلِينَ﴾. سورة الحجر الآية ٤٧ [١].

ورحم الله الإمام أحمد لما احتجوا عليه فقالوا له: إذا قلت كان علي إماما واجب الطاعة ففي ذلك طعن على طلحة والزبير حيث لم يطيعاه بل قاتلاه فقال لهم أحمد: "إني لست من حربهم في شيء". قال ابن تيمية رحمه الله: "يعني أن ما تنازع فيه علي وإخوته لا أدخل بينهم فيه، لما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذي هم أعلم به مني وليس ذلك من مسائل العلم التي تعنيني حتى أعرف حقيقة حال كل واحد منهم، وأنا مأمور بالاستغفار لهم وأن يكون قلبي لهم سليما، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم، ولهم السوابق والفضائل ما لا يعد".

### - الشبهة الرابعة:

إن معاوية بن أبي سفيان قد اغتصب الخلافة من علي بن أبي طالب

[١] - طبقات ابن سعد، ٣/١٦٠



كرم الله وجهه، فلهذا استحق اللعنة.

جوابه:

يجب إن يعلم أولاً أن ما كان بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- من شجار وقتال فهو مبني على أن كلا منهما كان يرى الحق معه، يجتهد في ذلك ويتأوله لصالحه، غير متعمد للعدوان ولا مترصد للمؤمنين ولا مبيت لهم بكيد، فعلي - رضي الله عنه - كان الإمام الحق وخليفة المسلمين المطاع، ومعاوية - رضي الله عنه - معترف بذلك غير أنه كان يطالب بدم عثمان، ويجعل ذلك شرطاً في مبايعة علي، وعلي لم يكن يناسبه أن يسلم قتلة عثمان، لكون معظم العسكر يصيح كلنا قتلة عثمان، فاقضى نظره وفقهه ترك النظر في هذا الأمر في البداية لمصلحة التأليف وخشية ثورة القبائل.

وقد أخبر القرآن الكريم عن اقتتال المؤمنين بأنه لا يخرجهم عن الإيمان فقد ساهم مؤمنين وإخوة وأمر بإصلاح ما فسد بينهم ورفع الخلاف عنهم، قال تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب

المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" الحجرات ٩-١٠.

وبسبب ما حصل بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- اندفع بعض المسلمين إلى النيل من معاوية -رضي الله عنه- وترك الترضي عنه، بل وشتمه ولعنه عند آخرين وهذا إسراف منهم وخروج عن جاده السنة، وتجنبي على عدالة صحابي يجب توقيره والترضي عنه كسائر الصحابة، حيث يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذا الصدد: "ومعاوية أيضا لما كان له نصيب من الصحبة والاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم وصار أقوام يجعلونه كافرا أو فاسقا ويستحلون لعنه ونحو ذلك احتاج أهل العلم أن يذكروا ماله من الاتصال برسول الله عليه السلام ليرعى بذلك حق المتصلين برسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب درجاتهم وهذا القدر لو اجتهد فيه الرجل وأخطأ لكان خيرا له من أن يجتهد في بعضهم ويخطئ، فإن باب الإحسان إلى الناس والعفو عنهم مقدم على باب الإساءة والانتقام كما جاء في الحديث: "ادروا الحدود بالشبهات" [١].

لقد كان معاوية -رضي الله عنه- وأرضاه من أحسن الناس سيرة

[١] - منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ص: ١٩٩-٢٠٠.

في ولايته وهو ممن حسن إسلامه ولولا محاربتة لعلي - رضي الله عنه - وتوليه الملك لم يذكره أحد إلا بخير كما لم يذكر أمثاله إلا بخير، وهؤلاء مسلمة الفتح ومعاوية ونحوه قد شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عدة غزوات، كغزوة حنين والطائف وتبوك، فله من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله ما لا مثال له.

فكيف يكون هؤلاء كفاراً وقد صاروا مؤمنين مجاهدين تمام سنة ثمان وتسع وعشر وبعض سنة إحدى عشرة، فإن مكة فتحت باتفاق الناس في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة والنبي صلى الله عليه وسلم باتفاق الناس توفي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة، وقد استكتبه النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله عمر - رضي الله عنه - وهو من أعظم الناس فراسة وأخبرهم بالرجال وأقومهم بالحق وأعلمهم به. وقد روي أن معاوية بلغه قتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: ذهب الفقه والعلم بموت أبي طالب فقال له أخوه عتبة: "لا يسمع هذا منك أهل الشام: فقال له: "دعني عنك"<sup>[١]</sup>، ومن هنا يتبين لنا أنه - رضي الله عنه - قد ندم ندماً عمياً وقع بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقد أخرج ابن الجوزي

[١] - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ٣/٢٠٩

عن أبي صالح قال : قال معاوية لضرار: صف لي عليا: فقال أو تعفيني قال: بل تصفه، فقال: أو تعفيني. قال معاوية لضرار: صف لي عليا، فقال أو تعفيني. قال: بل تصفه: فقال: أو تعفيني، قال لا أعفيك، قال: أما ولا بد فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فضلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالله وظلمته.

كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلب كفة ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشن. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا، إلى أن قال: لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيتَه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تلملم السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني أسمعُه يقول يا دنيا يا دنيا ألا تعرضت أم بي تشوفت؟ هيهات هيهات غري غيري قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطوك كبيرة آه من قلة الزاد وبعد السفر، قال: فدرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق

القوم بالبكاء" [١] فإن معاوية - رضي الله عنه - قد اعترف بذنبه، والاعتراف بالذنب فضيلة، وتاب عما صدر منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ونسأله الله عز وجل أن يكون علي ومعاوية - رضي الله عنهما - ممن قال فيهم سبحانه وتعالى: "إخوانا على سرر متقابلين".

## المبحث الثاني:

### الحديث عن الخوارج والرد عن شبههم

#### المطلب الأول: الخوارج: تعريفهم وزمان وموطن نشأتهم

اقترن ظهور هذه الفرقة بظهور الشيعة، فقد ظهرت كفرقة في عهد علي - رضي الله عنه - وكانوا من أنصاره، فلما اشتد القتال بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - في صفين وذاق معاوية حر القتال، وهم بالفرار حتى أسعفته فكرة التحكيم فرفع جيشه المصاحف، ليحتكموا إلى القرآن، ولكن علياً أصر على القتال، حتى يفصل الله بينهما، فخرجت عليه خارجة من جيشه تطلب إليه أن يقبل التحكيم، فقبله مضطراً لا مختاراً، ولما اتفق مع خصومه على أن يحكما شخصين

[١] - مختصر التحفة الإثني عشرية للألوسي، ص: ٢٨١-٢٨٢

أحدهما من قبل علي والآخر من قبل معاوية، اختار معاوية عمرو بن العاص وأراد علي أن يختار عبد الله بن عباس، ولكن الخارجة حملته على أن يختار أبا موسى الأشعري، وانتهى أمر التحكيم إلى النهاية التي انتهت إليها وهي عزل علي وتثبيت معاوية، واشتد بهذا التحكيم ساعد البغي الذي كان يقوده معاوية.

ومن غريب هذه الخارجة التي حملت عليا على التحكيم وحملته على محكم بعينه أن جاءت من بعد ذلك واعتبرت التحكيم جريمة كبيرة وطلبت إلى علي أن يتوب عما ارتكب، لأنه كفر بتحكيمه كما كفروا هم وتابوا، وتبعهم غيرهم من أعراب البادية، وصار شعارهم لا حكم إلا الله، وأخذوا يقاتلون عليا بعد أن كانوا يجادلونه ويقطعون عليه القول "[١].

ويعتبر الخوارج أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن مذهبها وحماسة لآرائها وأرشد الفرق تدينا في جملتها وأشهدها تهورا واندفاعا، وهم في دفاعهم وتهورهم مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر دستورا مقدسا، لا يحيد عنه مؤمن، وقد استرعت ألبابهم كلمة "لا حكم إلا لله"، فاتخذوها دينا ينادون به فكانوا كلما رأوا عليا

[١] — تاريخ المذاهب الفقهية لأبوزهرة، ص: ٧٣

يتكلم قذفوه بهذه الكلمة "جزعنا من البلية ورضيا بالقضية وقبلت الدنية ولا حكم إلا لله"، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الأرض الإسلامية بنجيع الدماء وشنوا الغارة في كل مكان. وقد اتسموا بحب الفداء والرغبة في الموت والاستهداف للمخاطر من غير قوي يدفع إلى ذلك، وربما كان منشؤه هوسا عند بعضهم، واضطرابا في أعصابهم لا مجرد الشجاعة.

ولقد كان من الخوارج من يقاطع عليا في خطبته، بل من يقاطعه في صلاته، ومن يتحدى المسلمين بسبب علي وعثمان، ورمى أتباعهما بالشرك يسلكونه في مسلكتهم، ومن يعارض مبادئهم يقتلونهم، ولذلك قتلوا عبد الله بن خباب بن الأثرث، وبقروا بطن جاريتة فقال لهم علي رضي الله عنه، ادفعوا إلينا قتلته فقالوا: كلنا قتلته فقاتلهم علي حتى كاد يبيلدهم، ولم يمنع ذلك بقيتهم من أن يسيروا سيرتهم، وينهجوا مناهجهم، ويتبعهم من هم على شاكلته من أعراب البادية الذين اعتراهم مثل ذلك الهوس الفكري<sup>[١]</sup>.

[١]- تاريخ المذاهب الفقهية لأبوزهرة، ص: ٧٥-٧٦

## المطلب الثاني: الرد على شبهة الخوارج

## - الشبهة:

إن الخوارج يكفرون المخطيء في الرأي، ولذا اعتبروا عليا كافرا.

## جوابه:

إن أول مسألة كانت مثارة في ذلك العصر مسألة مرتكب الكبيرة: أهو كافر أم فاسق أم منافق، أم مؤمن كامل الإيمان؟ وقد أثار هذه المسألة موقف الخوارج من التحكيم الذي جرى بين إمام الهدى علي رضي الله عنه وبين معاوية، فقد كفروا من حكم وقالوا لا حكم إلا لله، وأخذوا يضحجون بأن مرتكب الذنب كافر، ولم يفرقوا بين ذنب وذنوب، فمثلا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ سورة آل عمران، الآية ٩٧، فجعل تارك الحج كافرا وترك الحج ذنب، فكل مرتكب الذنب كافر، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ سورة المائدة، الآية ٤٤، وكل مرتكب الذنوب فقد حكم لنفسه بغير ما أنزل الله فيكون كافرا، وقد اعتبروا الخطأ في الرأي ذنبا، إذا أدى إلى مخالفة الشرع، أي إذا أدى إلى



مخالفة وجه الصواب في نظرهم، ولذا كفروا عليا - رضي الله عنه -  
 بالتحكيم. فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، ويعدونّه مخلدا في النار،  
 وحينئذ لا تنفعه شفاعة الشافعين وقولهم هذا لم ينزل الله به من  
 سلطان، وأنه مخالف لما جاء في الكتاب والسنة، قال صلى الله عليه  
 وسلم: "من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر  
 واحد". ومن هنا يتضح لنا أن المجتهد المخطئ معذور بل مأجور،  
 وقال تعالى: ﴿لَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْجِبُ أُنْ يُشْرِكُ بِهِ وَيُعْجِبُ مَا دُونَ ذَلِكَ  
 لِمَنْ يَشَاءُ﴾ سورة النساء الآية ٤٨.

### المبحث الثالث:

## الحديث عن المستشرقين والرد عن شبههم

### المطلب الأول: الاستشراق: تعريفه ونشأته ودوافعه

الاستشراق في اللغة: مشتق من فعل شرق يقال شرقت الشمس  
 تشرق شروقا وشرقا: طلعت، واسم الموضع المشرق "[1].  
 وأما الاستشراق في الاصطلاح، فيراد به دراسة كل شيء عن

[١] - لسان العرب لابن منظور، مادة: شرق، ص: ١٧٦.

الشرق لغاته القديمة ولهجاته الحديثة، وتاريخه وأساطيره وطباعه، وعاداته، وأديانه، ومعادنه، وكل ما يتصل به من الناس والحيوان والنبات والمناخ والتربة، ومكونات الشخصية، وعوامل الفرقة يراد بالمستشرقين أولئك الذين لهم اهتمامات جادة بهذه الدراسات.

لقد دخل الإسلام إلى أوروبا في نهايات القرن السابع الميلادي "الأول الهجري" عن طريق فتح بلاد الأندلس التي يطلق عليها الآن اسم اسبانيا والبرتغال. وكان المسلمون قد فتحوا مساجدهم ومجالسهم العلمية لكل من أراد العلم، والعلم في عرف المسلمين الأوائل كان يعني العلوم الشرعية، والعربية، والاجتماعية، والكونية والتقنية، لا يضمنون بالفنون الحضارية على أحد من النصاري أو اليهود، أو غيرهم من البشر، باعتبارهم الإسلام رسالة الارتقاء بالإنسان - أي إنسان - إلى مستوى أفضل، عقليا وماديا، فكان يفتد إلى الأندلس كثير من الشباب من كافة أنحاء أوروبا ليغترفوا من علوم المسلمين.

واستهوت علوم المسلمين وأخلاقهم وعاداتهم كثيرين من هؤلاء الوافدين إلى الإسلام، فخشيت الكنيسة الغربية على مستقبلها، فعملت على الحيلولة بين الشباب وبين بلاد الأندلس وجامعاتها. وعمدت إلى

إعداد طائفة من الرهبان والقساوسة لدراسة العلوم الشرقية - يعني الإسلامية وغيرها مما يدرسه أهل المشرق - حتى يمكنهم جذب الشباب إلى حلقات مماثلة يكون زمامها بيد الكنيسة، ويمكن من خلالها تشويه صورة الإسلام لدى الدارسين، ومن تم كان الارتباط الأول بين العملية الاستشراقية وبين عملية محاربة الإسلام بالكتابة، والمحاضرة، والقصة، والأغنية، وسائر وسائل الإعلام.

ولقد اختلف الباحثون في ميدان الاستشراق حول الأسباب والدوافع التي كانت وراء ظهور الحركة الاستشراقية والاهتمام بالشرق الإسلامي، فهناك من يرجعها إلى أسباب دينية صرفة تهدف إلى النيل من الدين الإسلامي، والدرس عليه وعلى التاريخ العربي الإسلامي. وأصحاب هذا الرأي لهم أدلة يحتجون بها، فهم يستدلون بما كتبه المبشرون والمستشرقون ورجال الدين بدافع تعصبي، فقد جاءوا بآراء وتفسيرات غير علمية فيها افتراء وتهجم على الإسلام وتراثه.

في حين يرى آخرون بأن الحركة الاستشراقية بصورة عامة إن هي إلا حركة ذات دوافع سياسية استعمارية تهدف من بين ما تهدف إلى تعريف الدوائر الاستعمارية بالجوانب التراثية والحضارية والتاريخية للإسلام والمسلمين، وعرض الأمور التي بالإمكان استغلالها

واستثمارها لصالح تلك الدول من أجل توطيد سيطرتهم على العالم الإسلامي، وهؤلاء أيضا يستندون إلى أدلة قوية استخلصوها مما كتبه المستشرقون والسياسيون.

بينما يجعل آخرون دوافع الحركة الاستشراقية محصورة بالدرجة الأولى في محاولة المستشرقين فهم الشرق الاسلامي، وأن الحركة لا تتعدى أكثر من حب الاستطلاع ومعرفة الحضارة الإسلامية.

إن هذه الآراء على الرغم من صحتها نسبيًا، فإنها تمثل في الحقيقة فترات ومراحل تاريخية مختلفة في ظهور الاستشراق. فالتفسير الأول مثلا ينطبق على طائفة معينة من المستشرقين دون غيرها، وكذا الحال بالنسبة للتفسيرين الثاني والثالث، والحقيقة أن للحركة الاستشراقية عدة دوافع وأسباب: دينية، استعمارية، اقتصادية، سياسية، تجارية وعلمية.

## المطلب الثاني: الرد على شبه المستشرقين

### - الشبهة الأولى:

في الحديث الصحيح أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، فليل هذا القاتل فما

بال مقتول؟ فقال: كان حريصا على قتل صاحبه"، فإن عليا ومن قاتله قد التقيا بسيفيهما وقد استحلوا دماء المسلمين فيجب أن يلحقهم الوعيد.

### جوابه:

إن مذهب أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والترضي عنهم جميعا واعتقاد أنهم كانوا مجتهدين فيما عملوا، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، وخطؤه مغفور، والحديث المذكور إنما هو في المسلمين الذين يقتتلون ظلما وعدوانا لا باجتهاد شرعي، حيث يقول بن تيمية رحمه الله في هذا الصدد: "أن الوعيد لا يتناول المجتهد المتأول وإن كان مخطئا فإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين: "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا" قد فعلت، فقد عفا للمؤمنين عن النسيان والخطأ والمجتهد المخطئ مغفور له خطؤه، وإذا غفر خطأ هؤلاء في قتال المؤمنين، فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقر في بيتها إذ كانت مجتهدة أولى"<sup>[١]</sup>.

[١] - منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ٢/١٨٦

### - الشبهة الثانية:

يقول طه حسين: "وكان معروفا أنها كانت تجدد عليه موجدة شديدة منذ حديث الإفك حين أراد علي أن يواسي النبي صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بأن يطلقها وقال له: "إن النساء غيرها كثير" وكان ذلك قبل أن ينزل الله براءتها في القرآن. فلم تنس لعلي قوله ذلك"<sup>[١]</sup>.

### جوابه:

إن من يفترض رواسب العداوة والكرهية في قلبي الإنسانين الكبيرين "علي" و "عائشة".. إنما يتنكب طريق الحق والصدق، خصوصا أولئك الذين يتخذون من موقف "علي" يوم حادث الإفك مرتكزا، ومنطلقا.

ذلك أن عائشة - رضي الله عنها - عند التحقيق فيما نالها من حسان بن ثابت - رضي الله عنه - أكثر مما نالها من علي - رضي الله عنه - وكان من الخائضين في الحادث، ومع ذلك لم تحقد على حسان، بسبب قلبها الكبير، وأخلاقها العالية المتميزة، ثم إنها كانت تنهي عن سبه والإساءة إليه وتحترمه.

[١] - الفتنة الكبرى علي وبنوه ل طه حسين، ص: ٢٥ - ٢٦

روى "عروة بن الزبير" - رضي الله عنه - أنه قال: "ذهبت أسب  
"حسان" عند "عائشة" فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم" [١].

وروى قتادة عنها - رضي الله عنها - "لا تقولوا لـ"حسان" إلا  
خيرا لأنه كان يهاجي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويهجو  
المشركين".

وكان "حسان" إذا دخل على "عائشة" ألقته له وسادة فجلس  
عليها، فهل يعقل أن تحقد أم المؤمنين "عائشة" على طرف في الموضوع،  
هو "علي" - رضي الله عنه - وتتغاضى عن طرف آخر هو حسان!!!؟؟  
وهي التي روت كثيرا من الأحاديث في فضل "علي" رضي الله  
عنه، لأنها كانت تعرف مكانته في الإسلام، وعند رسول الله عليه  
السلام تعرف قرابته ومصاهرته وجهاده وشجاعته وسباقته!!!.

سئلت - رضي الله عنها - "أي الناس كان أحب إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، فقالت: فاطمة، فقيل: من الرجال؟ قالت:

[١] - صحيح البخاري، باب فضائل الصحابة ١٩/٥

زوجها...، إن كان ما علمت صواما قواما" [١] وروت أيضا فقالت:  
 "خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل [٢] من شعر  
 أسود، فجاء "الحسن بن علي" فأدخله، ثم جاء "الحسين" فدخل  
 معه، ثم جاءت "فاطمة" فأدخلها ثم جاء "علي" فأدخله ثم قال:  
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
 تَطْهِيراً﴾ [٣] سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

ولعل موقف الوداع الذي ثم ل "عائشة" - رضي الله عنها - بعد  
 موقعة الجمل "تريد العودة من البصرة إلى "المدينة" خير دليل نرد به  
 على تلك الافتراءات التي ما تزال تلعب دورها في العصبية المذهبية  
 إلى يومنا هذا.

لقد جهزها "علي" - رضي الله عنه - بكل ما ينبغي لها من  
 مركب وزاد ومتاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها، إلا من  
 أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل "البصرة"

[١] - رواه الترمذي وقال حديث حسن، باب مناقب علي ابن أبي طالب رضي الله  
 عنه.

[٢] - ثوب مزين برسوم رجال الإبل.

[٣] - ذكره محمد على قطب في كتابه أمهات المؤمنين عائشة ص: ٧٣



المعروفات، وقال لأخيها "محمد بن أبي بكر":

تجهزيا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها، وودعتهم، وقالت: "يا بني تعبت بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بلغه من ذلك إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار..!!"، قال "علي": صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

وينبغي أن يعلم في هذا الباب أن الأخبار الصحيحة التي يروها أهل الصدق والعدالة هي التي تثبت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا كلهم من خيرة من عرفت الإنسانية من صفوة أهلها، وأن الأخبار التي تشوه سيرة الصحابة، وتوهم أنهم كانوا صغار النفوس هي التي رواها الكذبة من المجوس الذين تسموا بأسماء المسلمين ولعل أول من شمر عن ساعديه للعبث بها وتشويه وقائعها أبو مخنف لوط بن يحيى، ثم خلف خلف بعد أبي مخنف بلغوا من الكذب ما جعل أبا مخنف في منزلة الملائكة بالنسبة إلى هؤلاء الأبالسة، وأبو مخنف معروف عند محصي الأخبار وصيارفة الرجال

بأنه إخباري تالف لا يوثق به.

نقل الحافظ الذهبي في "ميزان الاعتدال" عن حافظ إيران ورأس المحققين من رجالها أبي حاتم الرازي رحمه الله أنه تركه وحذر الأمة من أخباره، وأن الدار قطني أعلن ضعفه، وأن ابن معين حكم عليه بأنه ليس بثقة، وأن ابن عدي وصفه بأنه "شيعي محترف".

## الخاتمة:

وصفوة لقول: إن في هذا العصر الذي عز فيه العدل والإنصاف يحتاج المسلم: الرجوع إلى منهج السلف الصالح ليزن الأمور كلها بالميزان القسط حيث أصبحت الأهواء هي التي تتحكم بالأراء والتوجهات، حتى أن الإنسان قد يتغاضى عن أخطاء من يجب - مهما كانت كبيرة - ويبررها، بل تتحول هذه الأخطاء إلى محاسن، ويجعل محبوبه في أعلى المنازل، ولا يقبل فيه نقدا أو مراجعة، وفي المقابل: تراه إذا أبغض أحدا - لهوى في نفسه أو تقليدا - جرده من جميع الفضائل، ولم ينظر إلا إلى سيئاته وزلاته يفخمها، وينسى أو يتناسى محاسنه الأخرى مهما كانت بيّنة.

ومن هنا يتبين لنا إجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة، سواء من لم يلبس الفتنة أو لابسها، إحسانا للظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد، فتلک أمور مبنها عليه، وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد، والمخطئ معذور بل مأجور.

ولهذا كان من مذهب أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين

الصحابة فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر بخفي على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه، ومنه ما يكون مغفورا، فالخوض فيما شجر بينهم يوقع في نفوس كثير من الناس بغضا وذما، ويكون في ذلك هو مخطئا بل عاصيا، فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله، سواء من ذم من لا يستحق الذم، أو من مدح أمورا لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف.

ونحن نرفع أكف الضراعة للواحد الأحد سبحانه وتعالى، وندعو بما دعا به الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى. ونسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا أن یرینا الحق حقا ویرزقنا اتباعه ویرینا الباطل باطلا ویرزقنا اجتنابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسليم تسليما كثيرا.

فهرس الآيات القرآنية

	الآيات القرآنية
	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ﴾
	﴿أَلَا فِي الْمِثْنَةِ سَقَطُوا﴾
	﴿لَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾
	﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
	﴿لَإِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾
	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...﴾
	﴿إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾
	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ...﴾
	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا...﴾
	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا...﴾
	﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ...﴾
	﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ وَّرَعٍ وَمَلَأِيهِمْ أَنْ يُفْتِنَهُمْ﴾

	﴿إِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ ...
	﴿إِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاَعْلَمْ أَنَّمَا﴾ ...
	﴿وَالْعِتَّةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾
	﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾
	﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ﴾ ...
	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ...
	﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ﴾ ...
	﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ﴾ ...
	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾
	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ...
	﴿لِلْبُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ...
	﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِعِتِينٍ﴾
	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ...

	﴿لَتَارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾
	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهِ الْأَرْضَ﴾ ...
	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾
	﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ ...
	﴿وَإِن طَائِفَتَلِ مِنِ الْمُؤْمِنِينَ إِفْتَتَلُوا﴾ ...
	﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
	﴿وَإِثْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَتِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ ...
	﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾
	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾
	﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.
	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا﴾ ...
	﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ ...
	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ...

	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ ...
	﴿وَلَقَدْ اَوْحَىٰ اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ...
	﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ ...
	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْاَرْضِ يَخْلُقُوْنَ﴾ ﴿٦٦﴾
	﴿وَمَا اَعْجَلَكَ عَنِ قَوْمِكَ يٰمُوسٰى﴾ ﴿٨١﴾ ...
	﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَّلَا مُؤْمِنَةٍ اِذَا فَضَى اللّٰهُ وَرَسُوْلَهُ﴾ ...
	﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُوْلٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ ﴿٥١﴾
	﴿فَمَنْ نَّكَثَ فَاِتْمَا يَنْكُثْ عَلٰى نَفْسِهٖ﴾
	﴿وَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتْهُ﴾
	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾
	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيْفَ الْاَرْضِ﴾
	﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنِ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾
	﴿وَيَسْتَخْلِفْ رِيبَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾



	﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۗ﴾
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾
	{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الذي خلقكم } ...
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِسْطِ﴾
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ...﴾
	﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾
	﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ ...
	﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى الْبَارِ يُقْتَنُونَ ۗ ذُوقُوا بِئْتَنَّتْكُمْ﴾

## فهرسة الأحاديث النبوية الشريفة

	الأحاديث النبوية
	ادرؤوا الحدود بالشبهات
	إذا التقى المسلمان بسيفيهما ...
	إذا حكم الحاكم فاجتهد...
	ألا يستحي من رجل تستحي ...
	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون ...
	إن الله اختار أصحابي على الثقلين.
	إن الله خير عبدا ...
	إن تؤمروا أبا بكر...
	إن لم تجدني فأتى أبا بكر
	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
	أيكم رأى رؤيا ...
	الخلاصة في أمتي ثلاثون سنة ...
	خير الناس قرني ...
	رحم الله أبا بكر...
	كل بني آدم خطاء ...

	لأعطين الراية ...
	ما من نبي إلا وله وزيران ...
	من كنت مولاه
	لا تسبوا أصحابي
	يا عائش

## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش، دار المصحف بيروت
- الإبانة لأبي الحسن الأشعري، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، مركز شؤون الدعوة إتمام الفرصاء في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضري، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.
- أجنةة المكر الثلاثة لحنكة الميداني، منشورات دار القلم - دمشق-، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، منشورات دار ابن قيبة - الكويت-، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبو حفص سامي العربي الأثري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع -الرياض- الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، منشورات دار الجيل . بيروت .،

الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢ هـ.

- . أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- . الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، بيروت دار الكتب العلمية.
- . أصول الفقه لأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- . الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- . إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد عبد السلام الزغبى، منشورات شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
- . أمهات المؤمنين عائشة معلمة الرجال والأجيال، لمحمد علي قطب، دار العلم بيروت لبنان.
- . البداية ونهاية، أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: عبد الرحمن التركي، منشورات دار هجر

للطباعة والنشر والتوزيع-الجيزة-، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية -بيروت-، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦
- . تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، منشورات دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي -لبنان-، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣
- . تاريخ الطبري: تاريخ الملوك والأمم، أبي محمد بن جرير الطبري، منشورات دار الكتب العلمية -بيروت- بدون ذكر الطبعة والسنة.
- . تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر. بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦.
- . تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية لأبي زهرة، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.

- . تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، منشورات دار الاعتصام - بيروت-، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٤.
- . حياة الصحابة تأليف يوسف الكاند هلوي، طبعة جديدة منقحة ومصححة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- . زبدة التفسير من فتح القدير، محمد سليمان عبد الله الأشقر، الطبعة الرابعة. ١٤١٢-١٩٩١.
- . سنن الترمذي، موسوعة السنة: الكتب الستة وشرحها، منشورات دار الدعوة إسطنبول، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- . السياسة في الفكر الإسلامي، أحمد شلبي، منشورات مكتبة النهضة المصرية -مصر-، الطبعة الخامسة - ١٩٨٣م.
- . سير أعلام النبلاء، لشمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، منشورات مؤسسة الرسالة . بيروت .، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤-١٩٨٥م.
- . شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، منشورات مكتبة المعارف -الرياض-

الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م.

- . صحيح البخاري، موسوعة السنة: الكتب الستة وشرحها، منشورات دار الدعوة إسطنبول، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- . صحيح مسلم، موسوعة السنة: الكتب الستة وشرحها، منشورات دار الدعوة إسطنبول، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- . صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، دار القلم "مكتبة جدة" الطبعة الخامسة منقحة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- . الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع بن سعد، منشورات دار إحياء التراث العربي. مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣.
- . عصر الخلفاء الراشدين، عبد الحميد بخيث، منشورات دار المعارف-بمصر-، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٧م.
- . علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت لبنان-، الطبعة الثانية عشرة، سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.



- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أبي بكر بن العربي، منشورات مكتبة أسامة بن زيد - بيروت -.
- . غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغيرة للإسلام اليهودية، المسيحية، الماجوسية. تقديم الأستاذ الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار، منشورات مطابع غباشي - طنطا-، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨.
- . فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث - القاهرة-، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- . فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي شمس الدين، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة - القاهرة-، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- . الفتنة الكبرى "علي وبنوه" لطف حسين دار الطباعة للنشر والتوزيع.

- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، بيروت دار إحياء التراث الإسلامي.
- قصص الأنبياء من القرآن والأثر لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، طبعة محققة، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦.
- لسان العرب لابن منظور، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- المبشرون بالجنة، لعبد الله التليدي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -، الطبعة الأولى.
- مجموع الفتاوي لابن تيمية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- مختصر التحفة الإثنى عشرية، عبد العزيز الإمام ولي الله أحمد عبد الحلليم الدهلوي، تعريب: محمد بن محيي الدين عمر الأسلمي، اختصره وهذبه: السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، منشورات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٤هـ.

- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية للدكتور عبد اللطيف هداية الله، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣.
- المسند، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: حسن بن عباس قطب، منشورات مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرف - بيروت - الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- مقدمة ابن خلدون "بيروت - لبنان".
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، منشورات دار المعرفة - بيروت -، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٢.
- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، أحمد بن القاضي، تحقيق: محمد رزوق، منشورات مكتبة المعارف الجديدة للنشر والتوزيع - الرباط -، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، أحمد بن عبد

الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- . منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم لأحمد بن عبد الرحمن الصويان، نشر وتوزيع مكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع دار قرطبة للطباعة.
- . الوشيعة في نقض عقائد الشيعة، جار الله موسى، منشورات دار الكيلاني، الطبعة الأولى.

## الفهرس العام

٣	المقدمة:
١٥	المدخل العام:
١٥	الكلام عن الفتنة
١٧	المطلب الأول: تعريف الفتنة لغة واصطلاحا
١٨	المطلب الثاني: لمحة تاريخية عن الفتن
٢٧	الفصل الأول:
٢٧	مفهوم الخلافة
٢٩	المبحث الأول: تعريف الخلافة وشروطها
٢٩	المطلب الأول: تعريف الخلافة لغة واصطلاحا
٣١	المطلب الثاني: شروط الخلافة
٣١	أولا: القرشية
٣١	ثانيا: البيعة
٣٢	ثالثا: الشورى
٣٣	رابعا: العدالة
٣٦	المطلب الثالث: وجوب الخلافة

- ٣٧ المبحث الثاني: الخلافة في الكتاب والسنة
- ٣٧ المطلب الأول: الخلافة في القرآن الكريم
- ٤٢ المطلب الثاني: الخلافة في السنة
- ٤٩ الفصل الثاني:
- ٤٩ الخلفاء الراشدون
- ٥١ المبحث الأول: الخلفاء الذين استقرت الخلافة في عهدهم وأسباب ذلك
- ٦٢ المبحث الثاني: الخلفاء الذين بدأت الفتن في عهدهم وأسباب ذلك
- ٧٧ المبحث الثالث: تعديل الصحابة وحسن الظن بهم
- ٨٧ الفصل الثالث:
- ٨٧ الصحابة الذين لابسوا الفتنة
- ٨٩ المبحث الأول: التعريف بالصحابة الذين لابسوا الفتنة
- ٨٩ أولا: طلحة بن عبيد الله القرشي رضي الله عنه التميمي
- ٩١ ثانيا: الزبير بن العوام رضي الله عنه
- ٩٣ ثالثا: عثمان بن عفان رضي الله عنه
- ٩٦ رابعا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٩٨ خامسا: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

- سادسا: عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٠٠
- المبحث الثاني: نوع الفتنة التي عاشوها ١٠٥
- المطلب الأول: فتنة الجمل ١٠٥
- المطلب الثاني: فتنة صفين ١١٢
- المبحث الثالث: الأمور الاجتهادية وموقف الشرع منها ١٢١
- المطلب الأول: تعريف الاجتهاد وشروط المجتهد ١٢١
- الفرع الأول: تعريف الاجتهاد في اللغة والاصطلاح ١٢١
- الفرع الثاني: شروط المجتهد ١٢٢
- المطلب الثاني: الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد ١٢٤
- المطلب الثالث: موقف الشرع من الأمور الاجتهادية ١٢٧
- الفصل الرابع: ١٣٣
- رد الشبه عن الصحابة الكرام ١٣٣
- المبحث الأول: الحديث عن الشيعة ورد شبههم ١٣٦
- المطلب الأول: الشيعة: تعريفهم وزمان وموطن نشأتهم ١٣٦
- المطلب الثاني: الرد على شبه الشيعة ١٤٢
- الشبهة الأولى: ١٤٢

- ١٤٤ - الشبهة الثانية:
- ١٤٥ - الشبهة الثالثة:
- ١٤٨ - الشبهة الرابعة:
- ١٥٣ المبحث الثاني: الحديث عن الخوارج والرد عن شبههم
- ١٥٣ المطلب الأول: الخوارج: تعريفهم وزمان وموطن نشأتهم
- ١٥٦ المطلب الثاني: الرد على شبهة الخوارج
- ١٥٦ - الشبهة:
- ١٥٧ المبحث الثالث: الحديث عن المستشرقين والرد عن شبههم
- ١٥٧ المطلب الأول: الاستشراق: تعريفه ونشأته ودوافعه
- ١٦٠ المطلب الثاني: الرد على شبهة المستشرقين
- ١٦٠ - الشبهة الأولى:
- ١٦٢ - الشبهة الثانية:
- ١٦٧ الخاتمة:
- ١٦٩ فهرس الآيات القرآنية
- ١٧٤ فهرسة الأحاديث النبوية الشريفة
- ١٧٦ فهرس المصادر والمراجع